

روايات مصرية للرجل

أسطورة  
الكاهن الأخير

عائور، الطبيب



WWW.NAKAF.COM

Your New Internet Gateway



## مقدمة

دكتور (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم المتقاعد  
غير المتزوج ، الذى تحذى كل قواعد الطب ودراسات  
الشيخوخة وعاش حتى هذه اللحظة - برغم أمراضه  
العديدة - كى يحكى لكم ذكريات شبابه .

مريض بالذبحة الصدرية .. نعم ..  
معتل البنيان .. عصبى المزاج .. نعم ..  
مصاب بتصلب الشرايين .. نعم ..

لكنى أحتفظ لنفسى بشيء واحد لم أفقده بعد ، ألا وهو  
ذاكرتى التى تحتفظ بكل شبح وكل مسخ وكل كابوس  
صادفنى فى رحلتى الطويلة التى أفنيتها بين المقابر  
والقصور المسكونة والمستنقعات التى تجوبها  
الشياطين ...

لم أنس شيئا ...

ولكم سأحكى كل شيء بلا تردد ..

لأنكم أصدقائى الوحيدون ، وآخر من بقى لى فى هذا

العالم ..

لحظة واحدة حتى أخفض صوت (التلفزيون) بعدها  
أعود لكم كي أسألكم عن القصة التي أحكىها اليوم ...  
هل تحبون قصص مصاصي الدماء فأحكي لكم أسطورة  
الشاحبين ؟

أم تحبون حكايات السحرة فأحكي لكم أسطورة الساحر  
الأسود ..؟ أم أنتم مغمومون بالنباتات الشيطانية فأحكي  
أسطورة النبات المنمى ؟

... أراكم سنتمم الرعب وتريدون بعض التغيير ..  
ولم لا ؟ .. سأحكي لكم اليوم قصة لا رعب فيها ..  
ولكنها مفعمة بالفراية وكل ما فيها يتحدى المنطق ...  
لقد قابلتم - في قصتي الثامنة على ما أنكر - الثنائي  
المتماثل (سالم) و (سلمى) وهما ضيفان على حكاياتي ،  
لكنني أحبهما برغم كل شيء ..، واليوم تقابلون ضيفاً  
جديداً هو (الأخرس) .. لا تتدهشوا !.. فهذا هو اسمه  
الذي كان نعته يوماً ما ..، أما اسمه الأصلي فهو  
(هن - تشو - كان) ، وأعتقد - وأنتم توافقونني - أن  
(الأخرس) أسهل لفظاً وإن كان أقل أناقة من الاسم  
الأصلي لهذا الفتى ..!

سكون رحلتنا طويلة حقاً ..

وستعرفون السبب بعد قليل ..

\*\*\*

## ١ - الزهرة الزرقاء ..

كان (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء ...  
هل رأى أحدكم زهرة زرقاء ..!؟

هناك زهور حمراء وبيضاء وبنفسجية .. لكن  
(هن - تشو - كان) كان زهرة زرقاء ..  
هكذا قال له الكاهن الأكبر وهو يضفر له جدائله  
الطويلة المناسبة :

- « أنت يا (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء بين ثلوج  
(التبت) .. إن الزهور الزرقاء ساحرة الجمال نادرة  
كالياقوت ، لكن أحداً لا يفهمها .. والزهور الأخرى  
تحسدها .. لهذا - إذا أنت وجدت زهرة زرقاء - لا تنتظر  
أن تكون سعيدة .. »

نعم .. كان (هن - تشو - كان) زهرة زرقاء ..  
ومن هنا تبدأ قصتنا ..

\*\*\*

ثلوج (التبت) العاصفة .. والظلام .. وحيوان (الياك)  
ذو الفراء الكث الدافئ .. والدير الجاثم فوق أكداش  
الجليد ..



لا تذكر متى ولا كيف وجدت نفسك فى ذلك العالم ،  
لكنك - حتماً - دخلته وأنت بعد طفل مذعور شاحب الوجه  
متلاحق الأنفاس ، تمشى بخطأ مرتجفة متشبهاً بذيل عباءة  
أمك وهى تتقدم إلى الكاهن الأعظم المتربع القرفصاء على  
صخرة (النرفانا) :

- « هو ذا ابنى أيها الكاهن الأعظم .. وكنت قد نذرته  
للدير لو عاش حتى يرى عشرة فصول شتاء .. » .  
هل كانت تأنكم الجمرتان المتقدمتان هما عيناه ترمقانك  
فى اهتمام من تحت حاجبين كثين كغراء (الياك) ؟ ..  
- « أقرب يا (هن - تشو - كان) .. » .

كيف عرف هذا الرجل اسمك؟ .. إن أحذا لم يخبره به ! ..  
- « أنت لم تعد (هن - تشو - كان) .. بل أنت الزهرة  
الزرقاء .. غريب مثلها .. نادر مثلها .. جميل مثلها ..  
حزين مثلها .. » .

وعلى رأسك مسح وحبك أنفة الضخم البارد بأنفك  
الأحمر الدافئ محيياً ..  
عندئذ عرفت أن هذا الدير هو بيتك وغدك ..  
وعرفت أن (النافاراي) ستكون فلسفة حياتك ..

\*\*\*

يقول الأخ (مياىنج) :

- « عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب السماء  
الأزرق ، .. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي) .. » .

\*\*\*

وعلى ضوء الشموع كان (هن - تشو - كان) يدرس  
الـ (بهاجافادجيتا) الكتاب الذى يربط البوذية بالهندوك ،  
فى حين يجلس أمامه الكاهن الأعظم يحسو الشاى بالزبد  
ويصحح له ألفاظه .. ويجيب عن أسئلته :

- « هل نحن بوذيون أيها الأخ الأكبر ؟ » .  
- « لسنا بوذييين » .  
- « هل نحن هندوس ؟ » .  
- « لسنا هندوساً .. » .  
- « إذن نحن كونفوشيوسيون .. » .  
- « ولا هذا يا بنى ... » .  
- « إذن من نحن ؟ .. » .

تتسع عينا الصغير فى حيرة بريئة .. إذ يجيبه الكاهن  
فى رزانة وتؤدة :

- « نحن (نافاراي) يا بنى ... » .  
ويحسو جرعة أخرى ويفغمم :  
- « نحن نأخذ أفضل شيء من كل شيء ..... لسنا  
سليبيين كالبوذييين .. ولا عبدة أبقار كالهندوس ..  
ولا غارقين فى فلسفة غامضة كالكونفوشيوسيين .. » .

\*\*\*

يقول الأخ (ميانج) :

« لماذا تحرق النار ؟ لأنها نار !.. لماذا يطفئها الماء ؟ لأنه ماء !.. لماذا يرتوى به النمر ؟ لأنه نمر !.. »

تتسع عينا الصغير أكثر .. ويهمس :

« لا أفهم ... »

يبسم الأخ (ميانج) في رزاة .. ويرتبت كتفك :

« لكنك - يوماً - تفهم .. وعندئذ تكون (نافاراي)

حقيقياً !.. »

\*\*\*

وتهب العواصف الثلجية ..

ويخرج الرهبان وسط الثلوج حافى الأقدام لا يحملون سوى عصيهم ويقفون في مهب العاصفة بتكاثف الثلج فوق عوارضهم وأنوفهم ، لكنهم لا يتحركون ولا يرتجفون ..

تصطك أسنانك وتفقد الإحساس بأناملك التي تحترق أعصابها لكن الأخ (ميانج) يهمس لك :

« إن الطبيعة لا تؤذى أطفالها .. ثقي بها ودعها تحنو عليك .. »

لكنك ترتجف .. ترجف .. وتشعر أنك تموت ..

١٠

« (النافاراي) لا يشعر بالبرد أبداً لأنه يملك ناره الداخلية .. »

وبعد ثوان تشعر أنك في حال أفضل .. وتزول الزرقة المشنومة عن ساقيك وأطراف أناملك .. ها هي ذى الحرارة الداخلية التي يتحدثون عنها تسرى في أجزاء جسدك ..

« إن الكون ليس سوى ما تعتقده فيه .. أغمض عينيك وتخيّل شمسا حارقة في صحارى المغول وقافلة جمال .. »

تغمض عينيك وتحاول .. تحاول .. تحاول .. الأمر صعب لكنك تريده بعمق .. وفجأة يتصايح الرهبان بصيحات الإعجاب والانبهار .. ويدنو منك الأخ (ميانج) ليمسح جبينك .. ويهتف :

« لقد فعلتها !.. إن العرق يملأ جبينك ! »

وعلى كفه تجد أربع قطرات ماء تحولت إلى أربع ندف ثلج بعد ثوان !

لحظتها عرفت أنك ستكون منهم يوماً ما ..

\*\*\*

أما الأخ (وين-بياو) فكان يثير دهشتك بخاصية الارتفاع في الهواء حين يصل إلى حالة (الفرمانا) الكاملة .. كان ينظر للأرض في تركيز وقد قطب جبينه .. ثم فجأة ترتفع قدماه عن الأرض ببطء شديد قائمة أو قائمتين وهو في غيبوبة عميقة ..



ثم إنه ينزل إلى الأرض ببطء بعد دقائق، ويحدثك  
 بكلمات غامضة يقولون إنها (أسرار الكون) ..  
 وكنت أتساءل عن الكيفية التي يصل بها المرء إلى هذه  
 الدرجة العالية من الشفافية .. فكانوا يقولون لك :  
 - « هو مستو عال جداً من النقاء لا يصله سوى  
 قليلين، والسر لا يفصح عن نفسه لكنك ستجد نفسك محلقاً  
 ذات يوم .. فقط إذا ما تخليت عن ماديتهك .. » .

★ ★ ★

كانت عضلاتك تتكور، وصوتك يزداد خشونة، وفوق  
 شفئك العليا ازدهر الزغب كنسيج عنكبوت استقر هناك ..  
 كانت قوى غريبة تسرى في عروقك، وثمة روح  
 مجنونة ثائرة تحاول الخروج من جسك ..  
 يوماً قادوك إلى الكاهن الأعظم المتربع داخل الدير  
 وحوله الشموع .. ليقول لك وهو يرشف الشاي بالزبد :  
 - « مرحى .. ها أنتذا قدصرت رجلاً، وعليك أن تتعلم كيف  
 تكون (نافاراي) حقيقياً، ولكن - يا بني - أنت تعرف أن  
 أسرارنا هي سلاسل من الفولاذ تشدنا لهذه الأرض .. ومتى  
 تلقيت أسرارنا ربطت نفسك ما حبيت بهذا الدير .. » .  
 ثم تقلص وجهه في شيء من القسوة وأردف :



أما الأخ (وين - بار) فكان يبر دهشتك بخاصية الارتفاع في  
 الهواء حين يصل إلى حالة (الرفانا) الكاملة ..

قال (جوتاما) :

- « لاتروهن يا (أناندا) ..! لاتحدثوهن يا (أناندا) ! » .  
وإذا تحدثت إليكم واحدة منهن فلا تكثرث لما تقول  
يا (أناندا) ..!

★ ★ ★

لمدة شهر كامل كان الكاهن الأعظم يدعو ليعيد  
السؤال مع زيادة جرعة التصعيب في كل مرة .. وكانت  
الإجابة دائمًا :

- « نعم ... » .

قاموا بتجويعه أيامًا ووعده بالطعام الشهى إن  
قال لا .. تركوه في البرد والظلام ساعات ووعده بالدفء  
إن قال لا .. حرموه من النوم يومين كاملين ووعده  
بتركه وشأنه إن قال لا ..

. لكنه كان - حقا - يرغب في أن يظل معهم للأبد ..  
وجاء اليوم الذي بدأ فيه رحلة (النافاراي) ، فوشموا  
ظهره بوشم التنين المجنح ، وثبتوا له قرطا في الأذن  
اليسرى ، وعصصوا شعره الطويل الأسود خلف رأسه كذيل  
حصان ، واركدى البهجة الزرقاء السماوية المميزة  
لهم ..

لقد صار يشبههم وإن لم يصر بعد منهم ..

★ ★ ★

- « .. فهل أنت حقا راغب في الحياة هنا أبدا ١٢ » .  
رغبة الاختيار والمصير الذي تقررته كلمات .. وعجزك عن  
الكلام لأن لسانك انحسر في فمك .. ثم - بعد دقائق - همست :

- « نعم !.. » .

- « أعد القول !.. » .

بصوت أعلى هتفت :

- « نعم !.. » .

لم تكن تعلم شيئا عن الغد .. لكن العالم الخارجي كان  
غامضا مسر بلا بالظلال خاليا من كل ما يجذبك إليه ، والحقيقة  
الوحيدة المؤكدة هي أنك تحب هذا المكان وتأنس لهؤلاء القوم  
وتعرف كل شيء عنهم .. أما هؤلاء الآخرون ..  
- « فكر جيدا .. إن (النافاراي) لا يتزوج ولا يلمس  
النساء .. » .

أه !.. كيف تتجاهل كل العواطف البكر المصطرة في  
شغاف قلبك ، والتي تتمنى أن تهديها يوما لفتاة مالها صغيرة  
طويلة وقنمان دقيقتان ١٢ ..! إن هذا يبدو شاقا ...  
- « لا يحق لك (نافاراي) أن ينجب حتى لا تسلبه نريته  
إخلاصه وحكمته .. فهل حقا تلهم مغبة ذلك ١٢ » .

★ ★ ★

سأل أحد تلاميذ (جوتاما) (\*) أستاذه :

- « كيف نتصرف يا سيدي إذا النساء ؟ » ..

(\*) الاسم الأصلي - (بودا) .



يقول الأخ (ميانج) :

- « الحكمة ذبابة خضراء مهما حاولت اقتناصها بالجهد تفشل ، فإن أنت نسيت أمرها وجلست تتأمل ؛ حطت على نراعك من تلقاء ذاتها ! .. » .  
ثم يقول لك وهو يشعل الشموع :

- « لكنهم يقتلون الذباب الأخضر عليك أن تعرف كيف تحميه ! » .

وفجأة - دون توقع - تهوى صفة ساحقة على خذك ! ..  
أنت لم تريده تمتد .. ولم تتوقع أية خيانة من هذا القبيل ..  
تنهض في تحفز شاعرًا بالإهانة وخذك يتوهج بالدماء ..  
- « هيا ! .. انتقم لنفسك أيها الضفدع ! » .

لم تتوقع هذا من الأخ (ميانج) الرصين الهادئ ... ثم إنك لا تجرؤ على رذضه فهو معلمك قبل كل شيء .. و ..  
صفة أخرى لم تر نذيرًا لها ...

- « النافاراي ( كرامة .. وهو لا يترك أحذا يصفعه ! » .

الغريب أنه لم يزل جالسًا في نفس الوضع المتأمل الرزين كأنه لم يفعل شيئًا ..

صفة ثالثة على خذك جعلت الدماء تملأ مقلتيك ، وفي حنى وثبت نحو الأخ (ميانج) لتمنعه من المزيد من الإهانات ..

- « بطيء جدًا أيها الضفدع ! » .

كذا يقول لك وهو يروغ بجذعه - دون أن يغير جلسته -  
من هجماتك المتتالية .. ينجني يمينا .. يسارًا .. خلفًا ..  
أمامًا .. كل ضرباتك تذهب في الهواء كأنك تحاول سحق ذبابة خضراء دون جدوى ..

- « هيا ! .. حاول ، أسرع ! » .

وفي النهاية اندفعت بجسدك كله نحوه ، لكنه وثب -  
كالثعلب - جانبًا فارتطم رأسك بالجدار الصخري خلفه ..  
وبعد هنيهة رفعت وجهك المبتل من على الأرض ..  
هل كانت دموعًا أم دماء ؟ .. لا تذكر .. فكلاهما مالح  
الطعم ممتزج بالألم .. وكان هو جالسًا نفس الجلسة  
الرزينة الوقور كأنه لم ير شيئًا فضلًا عن فعله ..

تمر الدقائق لا يقطعها سوى صوت لهائك ونشيجك ..  
ثم سمعت صوته وهو يضغط على مقاطعه :

- « إن (النافاراي) لا يبكي .. بل يطلب مزيدًا من المعرفة .. » .

وتتهد وهو يربت على رأسك :

- « غذا أعلمك كيف تتفادى صفعات الآخرين .. » .

★ ★ ★



## ٢ - نافاراي !..

عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب السماء  
الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي) ..

★ ★ ★

إنه السماء ...

في صمت يتجه الرهبان إلى هضبة (النمور) لمزاولة  
تدريباتهم الشاقة على القتال ذلك يبدنهم منذ قرون ..

قال الأخ (ميانج) لبطلنا (هن - تشو - كان) :

« فلسفة قتال (النافاراي) هي التعاشي .. لا تدع  
العدو يلمسك .. لا تدعه يتمكن منك، لكن لا تكول له  
الضربات .. لا تؤذيه .. وبعد قليل سيصيبه الإعياء  
أو الملل ويتركك .. »

قال (وين بياو) وهو يرتب على ظهر الفتى :

« قتالنا ليس كقتال الديكة .. بل هو كقتال النمور ..  
تحرش واستعراض قوة وتحاشي للاشتباك أطول فترة  
ممكنة .. »

همس الفتى في رهبة، وهو يلهث برذا وترقبًا :

- « وإذا كان خصمي هو الآخر حريصًا على تفادي  
الضربات لا أكثر ؟ » .

- « عندئذ لن يكون خصمك ..!.. إن القتال لا ينشأ بين  
شخصين يحاولان تفاديه .. » .

★ ★ ★

وبدأت التدريبات ..

في الأيام الأولى شعر (هن - تشو - كان) أن هناك  
خديعة ما في الأمر .. فلم يتجاوز ما يفعله - طيلة ساعات  
النهار - أن يلوح بذراعه يمينًا ويسارًا ويحرك قدميه في  
خمسة أوضاع مرسومة كأنه راقصة ..

وكان نظيره في التدريبات هو (جينج - تشا) الذي ألحق  
بالدير في ظروف مماثلة ... إلا أن هذا الأخير كان من  
طينة أخرى .. فعيناه تلتمعان بالشراسة والوقاحة،  
وجسده مشدود متوتر كالقوس، وفي طبيعه ميل للعنف  
لا يداريه .. والواقع أن الجميع أدرك أنه سيكون مصدر  
متاعب متجددة، وأن تعليمه فن (التفادي) سيكون شاقًا  
لأنه لا يملك أدنى ميل لذلك ...

بعد أيام بدأت التدريبات تأخذ طابعًا غريبًا ..

- « غد للطابور ..! » .

- « لكنى خرجت منه لتوى !! » .

- « أطع ! » .

فأطاع ....

إلا أنه - فى هذه المرة - كان أفضل وأكثر حذراً ..

★ ★ ★

قال الأخ (وين - بياو) للكاهن الأعظم :

- « إن الزهرة الزرقاء فى تحسن مطرد أيها الأب ..

ولكن (جينغ - تشا) مازال شرساً كالذئب، وحاول أكثر

من مرة ضرب مهاجميه .. » .

التمعت عينا الكاهن تحت حاجبيه الكثين :

- « إن له روح نمر جريح، لكننا سنروضها .. » .

وأشعل الشمعة التى أمامه لتضئ صفحات كتاب بال

قديم :

- « غدا يدخلون قبو النيران الراقصة .. » .

★ ★ ★

قبو النيران الراقصة هو ذروة تدريبات (النافاراي) ..

وبعده ينتهى صنع (النافاراي) الجديد وتبدأ مرحلة

صقله ..

كان على (الطلبة) أن يمروا عبر طابور من الرهبان  
الذين يحملون عصياً ثقيلة يبيغون أن يهواها بها على  
رءوسهم، وعلى الطلبة أن يتحاشوا هذه الضربات  
ولا تسلمنى كيف ..!..

لقد كان درسنا مريزاً ..

عشرات الضربات العاتية انهالت فوق كتفى الفتى  
ورأسه ومعصمه .. وفى جزع أدرك أنه لا مزاح فى الأمر،  
وأن عليه - بالفعل - أن يبذل كل ما فى وسعه كي ينجو من  
الأثم .. الأثم الممض الذى يمزق أعصابه ويبعث كرامته  
الفتية المتقدة ..

طفق ينحنى .. يتلوى .. يتمرغ فى الغبار .. ينثنى حول

نفسه ..

وبرغم الأثم كان يتقدم .. يتقدم ..

وحين وصل - أخيراً - إلى نهاية الطابور كان قد نجا من  
عشرين ضربة قاتلة، وفى أعماقه بدأ يفهم شعور السحلية  
التى تتمنص من مطاردتها دون أن تجرؤ على  
مهاجمتهم ..

لكن الأخ (ميانج) كان بانتظاره .. وفى صرامة

همس :



لقد صار (هن - تشو - كان) شأبًا يافعا وسيما يقف  
بقامته الفارعة وضميرته تتدلى على ظهره، وثيابه  
الزرقاء المميزة .. جسده متوتر كمخالب القط .. وذقنه  
المربعة الحليقة توحى بقوة الشكينة ..

كان - بالطبع - قد سمع عن هذا القيو ويعلم إلى حد ما  
ما ينتظره في داخله .. لكنه لم يفشل قط في شيء تمناه  
حقًا، و«ه» يتمنى حقًا أن يجتاز هذا الاختبار .. وكان  
يعرف أن الكاهن الأعظم سيراقبه من فتحة سرية ..  
قال الأخ (ميانج) في لطف غير معتاد يثير التوجس في  
النفس :

- « هو ذا النفق .. وكلنا اجتزناه قبلك .. فليس الأمر  
مستحيلًا .. » .

وابتلع ريقه مردفًا وهو يناوله قرية اللبن ليحسوه  
منها :

- « لا تدع نيران ذهنك تخبوثانية واحدة .. بل أبقها متقدة  
ذكية لأن الثانية التي تخبو فيها ستكون الأخيرة !! » .

\*\*\*

تعالوا معي نر هذا الكابوس .. ولا تخافوا ما دمت أقودكم  
بنفسي ..

ما إن ينغلق الباب خلفك حتى يسود الظلام والصمت ..

لا ترى سوى ضوء مشعل خافت في نهاية النفق ..  
ولا تسمع سوى دقات قلبك الذي تدعو الله ألا يتوقف الآن ..  
هل هذا صوت قعقعة ؟ ..

نعم ! .. إنه كذلك ! .. بل هو صوت سقالة عملاقة  
مشتعلة بالنيران تهوى فوق رأسك بالذات من أعلى ..  
ضوء النيران يملأ المكان ..

عندئذ تثب للأمام .. ولكن مهلاً ! .. إلى أين ؟ .. إن  
الأرض تلتصق بنصال خناجر مشرعة لأعلى بانتظار من  
يسقط عليها ! ..

نعم .. هكذا .. اضبط بدقة على الموضع الوحيد الخالي  
من الخناجر ؛ على حين تسمع صوت الدوى المروع خلفك  
إذ تتهشم الثقالة ويتناثر الخشب المشتعل في كل مكان ..  
لا وقت لتتنفس الصعداء - للأسف - لأن عجلة ثمانية  
تهبط من السقف وهي تدور .. فتتناثر منها المشاعل  
الملتهبية تجاهك ..

اجذب ساقك من بين الخناجر سريعًا وذر حول نفسك  
في الهواء محاولًا تحاشيها .. إن طرف سروالك يشتعل  
لكن الوقت لا يسمح بأن تحاول إطفاءه ..  
حاول الارتكاز على الجدار الجانبى ..





اترك الحبل فوراً .. هل تسمعى ؟! .. اتركه فوراً ..!

ألا ترى الثعبان الملتف حوله وهو يزحف ببطء كي يلدغك ؟ ..

لكن .. لا تفعل! .. هل تسمع فحيح الأفاعى الشريرة ..؟  
الأفاعى المتحفة التى تحاول اقتصاص طرف أناملك ،  
وتنتظرك دون ملل ..!

إنن لا جدران جانبية ! ..

العجلة تتدحرج نحوك ، و ...

سهام مشتعلة تندفع من الحوائط نحوك ! ..

مستحيل أن يكون هناك جحيم على الأرض بهذه  
البشاعة .. إنهم لا يدعون لك ثابئة واحدة لتلتقط  
أنفاسك ..

تب فوق العجلة .. وخذ الحذر من موطنى قنميك لأن  
هذا السائل الفائر الذى ينتشر فى الأرض لا يمكن إلا أن  
يكون مادة حارقة ..

لا تهبط .. تشبث بالحبال المعلقة فى السقف ..

وهكذا تمرّ السهام المشتعلة والعجلة من تحت

قدميك ..

والآن ..!

اترك الحبل فوراً ! .. هل تسمعى ؟! .. اتركه فوراً ! ..

ألا ترى الثعبان الملتف حوله وهو يزحف ببطء كي  
يلدغك ؟ ..

« كلنا اجتزناه قبلك .. ليس الأمر مستحلاً .. » .

« لا تدع نيران ذهنك تخبو ثانية واحدة .. » .

اترك الحبل واقفز إلى الأرض .. بين الخناجر التي تركوا وسطها مواضع ضيقة لا تكاد تكفى لقدم واحدة .. وبعيداً عن المسائل الجهنمية .. أرجوحة ضخمة تتجه نحوك .. أرجوحة مشتعلة ..

« ليس الأمر مستحيلاً .. » .

نحن لتمر الأرجوحة فوق رأسك .. ثم انطلق سريعاً بين الخناجر قبل أن تعود الأرجوحة إليك .. كم سهماً نارياً تحاشيت ؟ .. كم ثعباناً كاد يلدغك ؟ .. كم كتلة نارية هوت فوقك ؟ لا تذكر ..

لقد تداخلت الرؤى والمشاهد .. لكنك امتزجت بسرعة الكون ذاته .. لم تكن أنت من يتحرك بل الشهب والأجرام والسندم والإلكترونات في مداراتها الأبدية .. كنت لثوان تعيش بأعصاب القط الخائف ، ولثوان تعيش بتوتر الثعبان الغاضب ، ولثوان تفهم تماماً مشاعر البهوضة التي تهوى نحوها كف فطة ...

فقط تذكر أنك فعلتها ....

وعند مخرج النفق خرجت متوتراً زانغ العينين ..

حتى أنك وثبت مترين للخلف مفلتاً من يد الأخ (وين - بياو) التي امتدت لك مصافحة مهنئة ..

وتعالى صياح الرهبان احتفالاً بالراهب الجديد .. ومعهم تمضى إلى الكاهن الأعظم ليخبرك أنك نجحت واجتزت أسوأ لحظاتك بنجاح .. وفي رقة يسألك أهم سؤال فى الكون :

- « لم لم تحرق الأفاعى بشعلة نار ؟ » .

- « لأننى نافاراي ا » .

- « ألم تخش الموت ؟ » .

- « (النافاراي) لا يخشى سوى موت الكائنات الحية الأخرى .. » .

إنها من المرات القلائل التي شوهد فيها الكاهن الأعظم يبتسم فى رضا ..

وفى المساء عرف (هن - تشو - كان) أن (جينغ - تشا) قد عبر نفس النفق بنجاح .. وإن اضطر إلى إبعاد الأفاعى بجذوة نيران ، الأمر الذى وجدته الكاهن الأعظم دليلاً على ضيق الحيلة والعدوانية التي لا مبرر لها !! ..



أنا لا ألوم (جينغ - تشا) أبداً ولا أحسب أحدكم يلوّمه ،  
لأننا كنا جميعاً سنفعل نفس الشيء لو لم نمت ذعراً في أول  
لحظة ندخل فيها ذلك النفق ..

لكن الفارق هنا هو أن الاختبار ليس الغرض منه  
قتل الممتحن بل اختبار أخلاقياته وجدارته بأن يكون  
(نافاراي) ..

لم يستطع (جينغ - تشا) أن يكون (نافاراي) لكنه لم  
يُطرد من الدير .. وكان هذا تسامحاً أحمق ....  
تسامحاً لا مبرر له على الإطلاق .....

★ ★ ★

### ٣ - الليلة الأخيرة ..

مرت أعوام ...  
وعندما جُن الليل اصطحب (هن - تشو - كان) تلميذه  
الصغير مرتجف الأطراف والفؤاد إلى صخرة (النرقانا)  
المكسوة بالثلوج ..

وفي تودة همس له :

- « لماذا تحرق النار؟ .. لأنها نار ..، لماذا يطفئها  
الماء؟ .. لأنه ماء .. لماذا يرتوى منه النمر؟ .. لأنه نمر .. » .

يقمغم الصغير في رهبة :

- « ل .. لا .. أفهم ... » .

- « لكنك ستفهم يوماً ما .. وعندئذ تكون (نافاراي)

حقيقياً .. » .

وكان (هن - تشو - كان) قد فهم منذ أعوام .. ذلك  
التسامح المطلق مع طبائع الأشياء ، لأنها لا تكون سوى  
نفسها .. وليس لك أن تتوقع أكثر من أي شيء ..، حين  
تفهم أن النار لا حيلة لها إلا أن تحرق .. والماء لا حيلة له  
سوى أن يطفى .. عندئذ تغفر للثعبان لدغاته وللقط  
خدوشه ولخصمك ضرباته ..



كل ما يمكنك عمله هو أن تتفادى الأذى ..  
لكن أعوامًا عديدة تنتظر الصبى كى يعرف ما عرفه  
(هن - تشو - كان) وسيكون عليه أن يجتاز اختباره  
الخاصة وينال خبراته الذاتية .. لأن أحدًا لا يهديك  
الحكمة .. بل أنت من تهديها لنفسك ..

★ ★ ★

يقول (جوتاما) :

- « كل من يقصم صلته بما عداه ، ويهزم الإغراء ..  
لهو أعظم الرجال .. » .

★ ★ ★

كانت الإضاءة الخافتة تجعل الرؤية متعذرة في صومعة  
الكاهن الأكبر لكن صوته الواهن المتداعى كان قادرًا على  
جعلك ترى وجهه المغمم بالتجاعيد وجفونه الذابلة .. لقد  
صار شيخًا فانيًا لكنه ازداد هيبه ..

- « أدخل يا (هن - تشو - كان) ... » .

منذ أعوام طوال لم ينادك باسمك .. هل كان هذا نذيرًا؟ ..

- « لقد عشت بينا وصرت واحدًا منا .. ولم تكن مخطئين

حين انتظرنا منك الخير .. » .

احمر وجه الفتى وأطرق للأرض عاجزًا عن التفوه ببنت

شفة ..

أمس فقط استطاع أن يصل إلى مرتبة التأمل الكاملة  
التي وصل إليها الأخ (وين - بياو) .. وغرق في غيبوبة  
كاملة لا يذكر منها سوى حقائق علوية لا يعرف كنهها ..  
وحين عاد إلى الوعي أخبره الرهبان أنه ارتفع عن  
الأرض .. بضعة سنتيمترات ! ..

منذ شهر فقط اخترق بقبضته الصخر القاسى .. ركز  
أفكاره وحشدها في صورة واحدة .. صورة يده غائصة في  
الصخر .. تخيل جزينات يده تتباعد .. وتتباعد لتفصح  
بينها مكانًا لجزينات الصخر .. العنصران يمتزجان ..  
يلتحمان ..

وحين أفاق كانت يده غائصة حتى المرفق في  
الصخرة ! ..

كان يتقدم دون شك ..

وكان يستحق كل هذا الثناء ..

اكتسب صوت الكاهن نبرة رهيبه مثيرة للوجل وهو

يقغمم :

- « الآن حان الوقت كى أطلعك على سر أسرارنا .. » .

وفى تؤده نهض إلى تمثال كبير لـ (بوذا) متربعا في

وضع التأمل الشهير ، واستدار إلى الفتى ليرى - فى

الضوء الخافت - رد فعله إزاء هذا الفتح .. الجديد ..

وبنفس الهدوء المتعمد أدار رأس التمثال فدارت ..  
عندئذ أدرك الفتى المذعور أن الرأس هو سداة لجسد  
التمثال المجوف يمكن انتزاعها لتكشف مجموعة من  
الأوراق المصفرة المهترئة الملفوفة في فتحة العنق ..  
- « هو ذا كتابنا .. حاضرنا ومستقبلنا ..  
الـ (شوكارا) .. الكتاب الذى يحوى أسرارنا وفلسفتنا  
وأسلوب عملنا .. » .

ونظر إلى الفتى نظرة لا مزاح فيها :

- « أنت اليوم تعرف موضعه .. قليلون فى هذا الدير  
يعرفون .. والمعرفة عيب لا يفهمه سوى الرجال ..  
المعرفة ألم دائم وعذاب مقيم ... لأنك لم تكن تخشى شيئاً  
وأنت جاهل .. أما اليوم .... » .  
وأعاد غلق الفتحة مستغلاً رأس (بوذا) الذى أداره  
حول محوره كسداة الزجاجة ، وهو بعد يستطرد :  
- « ربما سألوكم .. ولربما عذبوك .. لكنك لن تتكلم ..  
لأنك تفهم أن هذا الكتاب هو حياتنا .. » .

ثم قال وهو يعود إلى الجلوس فى ركن الغرفة متأملاً  
التمثال :

- « سيصطرع (الين) و(الياتج) فى أعماقك (\*) لكنك  
ستتصر .. أنا أعرف أنك ستتصر .. ومن اليوم أنت من  
يحمى هذا الكتاب .. » .

كان الفتى يرتجف رهبة .. المسنولية .. الفخر  
والخوف .. كان يتمنى ذلك لكنه كان يخشاه بنفس القدر ..  
قال الكاهن الأعظم وهو يشعل (السماور) :  
- « غذا تبدأ مرحلة الـ (ساراياتا) ! .. » .  
- « (ساراياتا) ؟ .. » .

- « نعم .. (ساراياتا) .. إن عقيدة (النافاراي) تنقسم  
إلى مرحلتين .. مرحلة التفادى أو القتال السلبي واسمها  
الـ (راتجانا) .. ثم مرحلة الهجوم أو القتال الإيجابي  
واسمها الـ (ساراياتا) ... والكاهن لا ينتقل من المرحلة  
الأولى للثانية إلا بعد أن يثبت براعته فى التفادى ومقت  
الاعتداء .. عندئذ يتعلم كى يهاجم .. إنه يكون وقتها  
كالنمر الذى يفضل النوم فى الشمس فلا يخرج مخالفه  
إلا لحظة الخطر الحقيقى .. » .  
- « إذن .. الـ (راتجانا) وحدها لا تكفى لحمايتى ؟ » .

(\*) يؤمن البونيون بأن هناك طبيعتين فى الإنسان هما (الين)  
و(الياتج) .. إحداهما أنثوية متقلبة ثرثرة والأخرى ذكورية قوية  
هادئة صموت ، والإنسان هو محصلة القوة الغالبة عليه .



« تكفى لحياتك لكنها لا تكفى لحماية أحبائك  
ومبادئك... لو أن لصًا هاجم دارك فلن يمنعه (التفادى)  
من سرقتك.. لن يمنعه من إيذاء أمك العجوز.. لن يمنعه  
من تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد.. »  
« ومتى أبدأ أله (ساراياتا) ؟ » .

« غذا !.. » .

ابتلع الفتى ريقه وسأل السؤال الذى كان يتمنى أن  
تكون إجابته : لا :

« و... (جينغ - تشا) ؟.. هل يبدأ معى ؟ » .

ابتسم الكاهن الأعظم فى الضوء الخافت المنبعث من  
(السماور) .. وغمغم :

« أنت تكره (جينغ - تشا) .. أليس كذلك ؟ » .

« أ... أنا... » .

« بلى تكرهه.. وروحك مثقلة.. لكنك تخشى أن  
تقولها... فلتهدأ بالأ.. إن (جينغ - تشا) لم يصبر (نافاراي)  
قط.. ولن يصير... ومن ثم هو غير مؤهل للـ (ساراياتا) ..  
وتعليمها له كتعليم الشراسة لخنزير برى.. لا جدوى منه..  
بل خطر داهم على الجماعة.. » .

ثم صمت الكاهن الأعظم فعرف (هن - تشو - كان) أن  
الحديث قد انتهى ..

★ ★ ★

« تشا ساراياتا ! » .

يقولها وهو يباعد ما بين ساقيه مثبتًا قدميه بقوة على  
الجليد ..

« جوانغ ساراياتا ! » .

يقولها وهو يفتح ذراعيه المشدودين المتوترين مباعداً  
أصابعه كمخالب النمر ..

« كيوه ساراياتا ! » .

يقولها وهو يرجع رأسه للخلف لأقصى ما يستطيع ..  
إنها الصرخات الثلاث التى يحتم عليه قانون (النافاراي)  
استعمالها لإتذار الخصم بأن القتال سيتحول من الدفاع  
السلبي (رانجاتا) إلى الهجوم الإيجابي (ساراياتا) ..  
ومعناها - إذ لم تخشى الذكورة - بالترتيب هو : سابدأ  
(الساراياتا) .. احترس من (الساراياتا) .. إليك  
بـ (الساراياتا) ..

(تشا ساراياتا) .. (جوانغ ساراياتا) .. (كيوه  
ساراياتا) .. وقد أعتر من أنذر !..

إنه لمشهد مرعب .. مشهد الفتى المتوتر وهو يطلق  
قواه المقيدة من عقالها لتثب فى وجه خصومه .. كأنه  
منجنيق شد حبله إلى نهايته ثم قطع ..

وبرغم أن العشرة الكهان المحيطين به هم أساتذة فى  
فن التفادى ؛ إلا أن ضرباته أطاحت بأربعة منهم سقطوا  
فوق الثلج يننون ..



وبمجرد انتهاء التدريب كانوا ينزلون التمثال ويبدعون  
في دراسة آثار الطلاء الأصفر التي تركتها قبضة الفتى  
وقدمه على الأماكن المطلوبة ..

لا داعي لذكر أن النقاط التي كان الفتى يهاجمها في  
تدريبه الخي مع الرهبان هي نقاط الـ (نارفا) التي لا تحدث  
سوى بنبلة وارتباك ..

كان هذا ضرورياً لأن الفتى كان يتقدم - كالعادة -  
بسرعة غير عادية وكان تدريبه خطراً لا ريب فيه لولا  
سيطرته الكاملة على جهازه العصبي ..

وفي سره أدرك الأخ (ميانج) أنه لم ولن يدرّب ظاهرة  
مثل الزهرة الزرقاء .. وحتى مبتدع فلسفة (النافاراي)  
ذاته كان سيذهل لو أنه رأى هذا الفتى .. كأنه جاء الدنيا  
ليعرف الناس من خلاله معنى لفظة (نافاراي) ..  
- « سيكون لهذا الفتى » قال لنفسه « شأن خطير .. »

\*\*\*

مرة أخرى جلس الفتى أمام الكاهن الأعظم يقبب - على  
ضوء الشموع - أوراق الـ (شوكارا) المهترئة  
المصفرة ..

كانت هناك منات الأساليب الغريبة والمواعظ والنصائح  
والنبوءات والذم في البوذية والهندوسية ..

وكانت تدريباته تتم إما على خصوم حقيقيين من  
الرهبان .. أو على تمثال بالحجم الطبيعي للإنسان ... وقد  
خُذت على جسم هذا التمثال النقاط الأساسية للهجوم ..  
وكانت مقسمة إلى أربع مجموعات :

- نارفا (لونها أبيض) : وتؤدي إصابتها إلى إحداث  
ذعر وارتباك .

- كارفا (لونها أزرق) : وتؤدي إصابتها إلى فقدان  
الوعي .

- شورا (لونها أحمر) : وتؤدي إصابتها إلى الشلل .  
- كورا (لونها أسود) : وتؤدي إصابتها إلى الموت .  
وكانوا يعلقون التمثال ويجعلونه يتأرجح بسرعة  
لا تُصدق .. على حين كان الفتى يقف وقد لطحوا كفيه  
وقدميه باللون الأصفر مستخدمين طلاء لا يجف ..

وكان الأخ (ميانج) يصرخ :

- « شورا ! »

عندئذ ينثب الفتى كالسهم موجهها أربع ضربات في وقت  
واحد إلى النقاط الحمراء في التمثال المتحرك ..  
- « كارفا ! »

فكان الفتى يوجه ضرباته إلى النقاط الزرقاء ..

على أن شيئاً غريباً شدَّ انتباهه أكثر من سواه ..  
 كانت هناك طريقة غامضة اسمها (شانكين) يزعم  
 الكتاب أنها تنقل الجسد المادى عبر الأزمنة والمسافات ،  
 وكانت قائمة على التأمل المستمر المرهق .. وبالطبع  
 ونظرًا لحدائثة سن بطلنا فإن ما تبشر به هذه الطريقة من  
 متعة كان جديرًا بالاهتمام ..

- « دعك منها .. » -

قالها الكاهن الأعظم فى لا مبالاة .. وأردف :  
 - « هى لعبة خطيرة قائمة على تفكيك الجزيئات وإذابة  
 ماديتها لتتوه فى الأثير حيث لا زمن ولا مكان .. ثم تحتشد  
 فى أرض أخرى وزمن آخر .. لكنها - الطريقة - لم تحدد  
 كيفية اختيار الزمن والمكان .. كما أنها لم تحدد كيفية  
 العودة من هناك .. »  
 هز الفتى رأسه فى طاعة ..

لكن هذه السطور ظلت محفورة فى ذهنه .. وأدرك أنه  
 سيجربها يومًا ما ..

★ ★ ★

كانت مشاكل (جينغ - تشا) تزداد تعقيدًا ..  
 فهو يتشاجر مع الجميع ولا يحترم أحدًا ..



مرة أخرى جلس الفتى أمام الكاهن الأعظم يقنّب - على ضوء  
 الشموع - أوراق الـ ( شوكارا ) المهترئة المصفرة ..



ويبدو أن بأسه من أن يصير (نافاراي) قد جعله بلا شيء يخسره .. وبدا واضحاً أن الكاهن الأعظم سيطرده من الدير بعد أيام أو ساعات ..

وبدأت إشاعات تسرى في الدير أنه يتربد على رهبان (الماهايانا) في القرية القريبة (\*) وكان هذا خطيراً جداً لأن (النافاراي) - برغم أنهم يستعملون الكثير من تعاليم (بوذا) - كانوا يعتبرون (الماهايانا) خصومهم الطبيعيين .

وتلك الليلة المشنومة كان (هن - تشو - كان) يمارس تأملاته في الغابة الثلجية البعيدة حتى الفجر ..

ثم إنه عاد إلى الدير كعادته ..  
ومن اللحظة الأولى أدرك أن هناك شيئاً على غير ما يُرام ..

بالواقع لم يكن أي شيء على ما يرام ..  
وأدرك خطورة الموقف أكثر حين نخل الدير فوجد ثلاثة رهبان واقفين على وجوههم وحولهم بركة من القىء ..  
وكان من بينهم الأخ (وين بياو) ..  
أصابه الجنون وهرع إلى الداخل ..  
وفي كل قاعة كانت كارثة تنتظره ..

(\*) (الماهايانا) : هي العقيدة البوذية التي تمارس في التبت ومنغوليا والصين واليابان ، ومعناها (الناقلة الكبيرة) ، ومنها تنفرع ديانتا (اللاما) في التبت و (زن) في اليابان .

كل الرهبان موتى - أو قتلى - غارقين في القىء مما يدل على أن هناك حادث تسمم عام ... بل الأطفال أنفسهم لم ينجوا ..

حتى الأخ (ميانج) - ذو روحه - لم يكن أفضل حالاً ..

ماذا حدث ؟ ..

كيف حدث ؟ ..

متى حدث ؟ ..

ماذا دهلكم أيها (النافاراي) ؟ .. كنت أصبحكم أنكى من أن تلقوا حتفكم .. لكنها حقيقة واقعة .. أكثر من عشرين راهباً كلهم جثث هامدة ..

في جزع جرى إلى الممرات حيث الكاهن الأعظم فوجده جاثياً على ركبتيه وقد أراح رأسه وكتفيه على (الطبلية) الصغيرة التي يتلو الصلوات عليها .. وكان القىء يلوث الأرض حوله ، وثمة قدح شاي قد سقط أرضاً فتهشم ..  
لكنه كان يتنفس ! ..

بلهفة هرع فتانا إليه وجلس القرفصاء جواره ، وأراح رأسه العجوز على فخذه .. وفي عينه التمع ألف سؤال لم يكن بحاجة للنطق به ..

فتح الشيخ عينيه الذابلتين بوهن .. وبدا عليه شبح الرضا إذ رأى تلميذه النجيب .. ثم همس بفحيح الأفعى :



- « ك .. كلهم ماتوا ؟ » .

- « جميعاً 1.. » .

التمعت نعمة في عيني الشيخ .. وبلل شففته الضامرة  
بطرف لسانه :

- « إذن أنت الكاهن الأخير ... » .

كانت رائحة فمه كريهة جداً وهو يهمس .. لكن (هن -  
تسو - كان) لم يكن في حال يسمح بالاشمزاز .. ولم يسره  
قط أن يعلم أنه آخر الكهنة ...

- « ماذا حدث يا معلم ؟ » .

زأغت عينا العجوز أكثر .. وعاد يفتح :

- « هو .. خ .. خطئى .. (جينغ) .. (جينغ - تشا) ..

نمن .. من لنا .. ال .. السم .. فى .. الشاى .. » .

- « اللعين !.. أراد أن ينقم ! » .

- « بل الأمر أخذ .. أخطر .. يريد ال .. ال (شوكارا) ..

ل .. لقد بحث .. عن .. عنها فى كل مك .. ان ... آه ... ! » .

- « ولماذا يريدتها ؟ » .

- « م .. من أجل ال .. (ماهايانا) .. لقد ذهب ل ..

يحضرهم .. ك .. كى يبحثوا معه .. وس .. يصلون بعد ..

دقا .... نق .. » .

- « إذن هى فى التمثال بعد ؟ » .

- « ن .. نعم .. إن من يجدها سيحكم ال .. العالم ..

ولا أريد أن ي .. يكون هو (جينغ - تشا) .. آه ! » .

التمعت عينا الفتى وقد أدرك خطورة الموقف .. إذن

فحماية كتاب (النافاراي) هى مسئوليته لأنه - بعد ثوان -

سيكون (النافاراي) الوحيد على ظهر الأرض .. وهو

يستطيع أن يتخيل الكارثة التى ستحدث لو أن مأفوتنا من

عينة (جينغ - تشا) وجد الكتاب ..

لم يعد هناك وقت لرقعة المشاعر ..

لذا أراح رأس أستاذه المحتضر على الأرض وهرع إلى

تمثال (بوذا) ليفك رأسه وينتزع الأوراق الثمينة ويدسها

فى صدره .. ثم أنه جثا جوار رأس الأستاذا ليتلقى تعليماته

الآخيرة ..

- « هل أقاتلهم ؟ » .

- « ل .. لا .. سيكونون أكثر عدداً م .. من قدراتك ..

ل .. لا يجب أن تجد .. تجازف .. ال .. الكتاب أهم من

أن .. » .

نعم .. نعم .. لم يحسن التعبير لكن المعنى مفهوم .. إن

إنقاذ الكتاب أهم من خوض قتال لا تعرف نتائجها لمجرد

إشباع غريزة الانتقام ..

- « إذن أهرب ... » .

- « م .. سيجنونك ... » .

« وما الحل ؟ » .

« (شاتكين) !.. » .

(شاتكين) ؟ .. نعم .. نعم .. الوسيلة التي تتحدث عن السفر عبر الزمان والمكان والتي وجدها في الكتاب منذ أيام .. لكنها خطيرة كما قال المعلم .. ولكن ..

« ل .. لا .. لا .. مجال للاختيار .. إذ .. اذهب لل ..

للحجرة .. المجاورة .. وابدأ .. ال .. التأمل .... » .

« وأنت يا معلم ؟ » .

« ل .. لقد .. أنت .. انتهى أمرى ! » .

حاول (هن - تشو - كان) كبح جماح دموعه ، ومد يده لصدره فأخرج الأوراق البالية .. وانتزع منها الورقة التي تتحدث عن طريقة (شاتكين) ثم أعاد الأوراق لصدره .. وفي الحجرة المجاورة شرع يقرأ .. كان ضوء الفجر الوردي يتسرب من النافذة المنحوتة في الصخر ، وآلام اللحظات الماضية التي مرّت كحلم كابوسي غريب لم يتخيله ، وزلزلة عالمه فجأة ورحيل أصدقائه الوحيديين والمسئولية الثقيلة الملقاة فوق كتفيه ...

كل هذا كان يحدث في عقله وقلبه لكنه أزاحه بعيداً وأخذ شهيقاً عميقاً وبدأ يحلم ..

صوت رجال .. صوت باب يتهشم ..

لقد عادوا وهو لم يحرز نجاحاً يذكر ..  
صوت تحطيم .. تمثال (بوذا) بالذات .. لكنهم لن يجدوا  
ما يريدون .. رگز أكثر .. امتزج بالكون .. حاول  
ألا توجد ..

أنت تنو من (النيرفانا) الكاملة .. حالة الانطفاء  
النهائية ..

لا تدع صوت السيوف يخرجك من تركيزك ..  
لا تدع صوت أنين الكاهن الأعظم - وهم يعذبونه غير  
مبالين بأنه رجل ميت - لا تدعه يشتت تيار أفكارك ..

انبذ مخاوفك الخاصة ..

هأنذا تذوب في الأبدية ..

هأنذا تفقد ماديتك وتتحول إلى ذرات أثرية ..

إنهم يقتربون من الحجرة ..

لكنك - أنت أيضاً - قد اقتربت جداً ..

جداً ... جدّاً ...

و .....

لقد نجحت .....

★ ★ ★



## ٤ - أرض أخرى .. زمن آخر ..

أظن القارئ يتساءل الآن : أين ذهب هذا السخيف (رفعت إسماعيل) بسخريته المقيتة وصلعته ورائحة سجانره ..؟

هذا بالطبع .. وإن كنت لا أرجوه .. ما لم يعلن إحساسه بالرضا والاستمتاع لأنه يقرأ أخيراً قصة محترمة !! ..  
ولكن صبراً يا رفاق ...  
لا تفرحوا قبل الأوان .. فأننا آت لا محالة .. وستعرفون  
السبب بعد بضع صفحات ...

\*\*\*

الظلام والحرارة والرائحة الخائفة ..  
لبضع ثوان ملأت المفردات الثلاثة حواسه فلم يستطع  
أن يفهم أين هو .. لكنه كان وثقاً من شيء واحد ..  
أن القاعة التي كان يتأمل فيها منذ ثوان قد اختفت ..  
بدأت عيناه تعتادان الظلام .. فاستطاع أن يرى أجولة  
من الخيش مكومة فوق بعضها ، وحيوانات صغيرة  
مكسوة بالفراء تجرى هنا وهناك بسرعة لا تصدق (لم تكن  
الفران من الحيوانات المألوفة في الدير) ..

أدرك دون جهد أنه في مخزن ما ...

ومن الرائحة عرف أنه مخزن لنوع من الحبوب ..

لكن أين ؟ .. وفي أي زمن ؟ ..

سمع باب المخزن ينفتح محدثاً صريراً .. واندفعت  
لعينيه حزمة أليمة من ضوء الشمس كأنها نسته من الإبر  
تغرس في مقلتيه ..

وبين الإبر الأليمة رأى خيالاً فارغاً يدخل من الباب ..  
كانت فتاة شابة ..

وبرغم الألم الذي أحدثه الضوء الساطع أدرك أن شكلها  
غريب جداً .. فهي سمراء اللون عيناها واسعتان على  
نقيض فتيات وطنه .. وكانت كبيرة العظام ضخمة القدمين  
كما لم ير فتاة من قبل ..

لكنها - برغم غرابة مظهرها - كانت مليحة ..  
وفي نشاط وخفة - ودون أن تلاحظ وجوده - ألقّت على  
الأرض بمقص كبير وبعض الحبال ، ثم انسلت مغادرة  
المكان دون أن تغلق الباب خلفها ..  
تحرك الفتى ببطء شديد واختبأ خلف كومة أجولة ،  
وشرع يدقق البصر في نهم إلى العالم الخارجي وراء  
الباب ..



كان هناك رجال يتحركون هنا وهناك .. سمر البشرية يرتدون ثيابًا طويلة تصل للقدمين ، وكانوا يضعون على رؤوسهم أغطية رأس غريبة .. وكان بعضهم منهمكًا بحمل الأجوالة متجردًا من ثيابه الطويلة كاشفًا عن سروال أبيض متسع وصدرية مليئة بالأزرار ..

ولم يكن أحدهم يعقص شعره خلف ظهره .. أو يرتدى قُرطًا ..

أخذ عقل (هن - تشو - كان) يعمل بأسرع ما يمكن .. لن يلبث أن يكتشف أمره .. وعندئذ .. وحتى لا يبدو شاذًا .. عليه أن يبدو مثل هؤلاء أو على الأقل قريبًا منهم ..

في تودة التقط المقص .. وحركه إلى مؤخر رأسه وجزء خصلة الشعر الناعم المتدلّية على ظهره ..

ثم إنه وجد ثوبًا من هذه الأثواب الطويلة وغطاء رأس في أحد أركان المخزن .. كان الثوب متسخًا قذرًا تفوح منه رائحة العرق لكن الوقت لم يكن مناسبًا لقواعد الصحة .. لهذا نزع ثيابه وارتدى الثوب الجديد .. وثبت غطاء الرأس الصوفى على رأسه وتعمى لو رأى وجهه في لجة ماء ..

جاء الجزء الهام من الموضوع ..

الآن ينشأ بأظفاره الأرض الترابية محدثًا حفرة صغيرة .. ثم يغلف كتابه الثمين - الـ (شوكارا) - بثيابه التي خلعها ... وفي حذر يدفن الحزمة الثمينة في الحفرة ..

ويهيل التراب وقد سره أن الجفاف العام المخيم على التربة يدل على أن الرطوبة لن تفسد الكتاب ..

وبالطبع لم ينس أن يدفن خصلة الشعر والقُرط مع الثياب وما بداخلها ..

ثم إنه مسح بالغبار وجهه ..

سيبدو قذرًا كخنزير .. وهو المطلوب لأن وجهه المتسخ لن يدع الكثيرين ينتبهون لعينيه الضيقتين ولون بشرته الأصفر .. على الأقل في الوقت الحالي ..

لم يكن يتفادى شيئًا بعينه ..

لكنه كان يعلم أن هناك خطرًا لا يدري كنهه ..

بعد دقائق ظهر (سيلويت) الفتاة عائدة إلى المخزن مندفعة بنفس النشاط والحيوية ..

وفي هذه المرة كان محتفًا أن تراه ..

التقت العينان .. ولمح عينيها تتسعان في هلع .. وشفثتها تهمسان بلفظة ما .. ثم أنها ضربت بكفها المفتوح صدرها (ولم يكن قد رأى هذا الأسلوب في إظهار الذعر من قبل ..) ..

- « آبا ..! آبا ..! » .

كذا صرخت وهي تجرى هاربة من المخزن ..  
أما (هن - تشو - كان) فظل مسمرا في مكانه يشعر  
بالحيرة ، بالإضافة إلى غرابة اللغة التي استعملتها الفتاة ..  
واللفظة التي قالتها يملؤها حرف غير مألوف لأنني (حرف  
الحاء في عبارة : بسم الله الرحمن الرحيم) .. فما هو هذا  
المكان ؟

ومن هم هؤلاء القوم ..؟

بعد ثوان امتلأ المخزن بالفضوليين والمتحمسين  
والمتحفزين ..

أما (آبا) - أو الشخص الذي نادته الفتاة - فكان عجوزا  
كث الشارب أشيبه يربط رأسه بمنديل ويرتدي معطفا أصفر  
جال لونه منذ دهر .. وكان يمسك في يده بعضا طويلة معدنية  
تشابه تلك المدافع التي كان الصينيون يستعملونها في  
حروبهم ..

في تودة وحذر اقترب من الفتى وسأله عن شيء ما ..  
كان (هن - تشو - كان) قد قرر التزام الصمت والحذر ..  
سيتظاهر بالخرس والعته فلا يصير بحاجة إلى الرد .. اندمج  
في الدور وتدلى لسانه خارج فمه مبعثرا اللعاب على ذقنه ..  
ويعينين زانفتين شرع يتابع كلمات الرجل التي لم يكن في  
حاجة للتظاهر بأنه لا يفهمها لأنه - بالفعل - لا يفهمها ..



ثم يغلف كتابه الثمين - ال ( شوكارا ) - بشيابه التي خلعها ..

وفي حذر يدهن الحزمة الثمينة في الحفرة ..



كانت هناك لفظة أخرى تتكرر بإصرار وبدا له أنها  
مقاربة في المعنى .. هي (بتاع ربنا) ..، وإن أثار دهشته  
حرف (العين) الذي لم يعتد سماعه قط ..  
وفى رضا أدرك أنه قد تلقى تأشيرة الدخول إلى  
عالمهم ، وكأنه يكافئ نفسه رفع الوعاء الفخارى إلى فمه  
وجرع الماء حتى ارتوى ..

★ ★ ★

دعونا الآن نغارق وجهة نظر كاهننا لنتخذ وجهة نظر  
أكثر شمولية وإمامًا بالتفاصيل ، لأنه لن يفيدنا شيء أن  
نجهل ما يجهله هو على طول الخط ..  
أظن القارئ قد استنتج أن الكاهن قد قذف إلى قرية  
مصرية .. أى أنه قد ابتعد مئات الأميال عن وطنه الأصلي ..  
دعك من أنه كان يعيش أصلًا في القرن السادس  
عشر .. وهو اليوم في عام ١٩٦٧ .. أى أنه ابتعد أربعة  
قرون عن زمنه الأصلي ..

ويمكننا القول إن خدعته قد انطلت على الفلاحين ..  
فهم لا يملكون خبرة طبية لكنهم - حتمًا - رأوا أناسًا  
مصابين بهذا النوع من التخلف العقلى الذى يجعل العينين  
ضيقتين والشعر ناعمًا ... هذا العيب الخلقى الذى يسميه  
الأطباء بـ (العته المنغولى) (\*) ..

(\*) أحيانًا يُسمى بـ (متلازمة داون) .

كان الرجل يرمقه فى شك ..  
ثم بدأ يتبادل حديثًا غاضبًا مع الرجال وهم يقنعونه  
بشيء ما ..  
أدرك الكاهن الأخير أن عادة هؤلاء القوم هى الصخب  
والكلام الكثير .. وأن الهمس عندهم هو نوع من  
الصراخ ..

لم يكتوتوا سمزًا كالتزنج أو بيضًا كالتجار الايطاليين  
الذين رأهم ذات مرة .. ولا هم صفر كأبناء جلدته ..  
فمن هم إذن ؟ ..

تصايح القوم بشيء ما فبرزت من صفوفهم امرأة  
عجوز تحمل خبزًا ومادة صفراء اللون شديدة الملوحة  
يبدو أنها نوع من الخبز .. وفى يدها الأخرى وعاء من  
الفخار تكاثف الماء على سطحه .. وقدمته له ..  
كان (هن - تشو - كان) معتادًا الجوع أيامًا طويلة ،  
لكنه أدرك أن الحكمة تقضى بعدم الرفض ..

شرح يلتهم الطعام - غريب المذاق - والجميع يراقبونه  
فى فضول ..

كانت أنه الحادة تعمل كأذن القط .. ولقد أدرك أن  
اللفظة التى يكررونها لكل وافد جديد على المشهد .. هذه  
اللفظة : (أهبل .. أهبل) لا تعنى سوى العته أو الجنون ..



ومن اللحظة الأولى أدرك الأب أن الواقد الجديد سيكون  
مسئوليته ، ولربما ابناً ثانياً له ..

وقد أدرك - بفطنة الفلاح التي لا تخطئ - أن الفتى ليس  
أصم .. فعيناه تتابعان الأصوات .. وجهه يتلون حسب  
حدثها ، لكن من الواضح أنه لا يفقه حرفاً ..

وجاء المساء ..

العبادة الزرقاء الرطبية تغترش الكون ..

لكن الفتى ظل جالساً حيث هو يرمى الأفق في نهم ..  
فحتى النجوم تبدو مختلفة ها هنا ..

من الغريب أنه ليلة أمس - أحقاً هو أمس ؟ - كان يحيا  
في عالم (النافاراي) يمارس تدريبات (السايرايتا) فوق  
الثلوج .. واليوم ماذا بقي من كل هذا ؟ .. هل كانت حياته  
السابقة حلمًا كلها ؟ .. أم أنه يحلم الآن ولن يلبث الأخ  
(ميانج) أن يوقفه ؟ ..

حقيقة واحدة كان يدركها ..

لو أنه ظل ها هنا فترة أطول فلسوف يدوى ويموت ..  
نعم .. يموت .. مثله مثل البيغاء التي يجسونها في قفص  
بعيداً عن نوعم روحها ..  
شعر بخطأ تقترب منه فأجفل ..

لهذا تقبلوا سريعاً فكرة العثور على شاب شريد متخلف  
عقلياً له ملامح صينية .. كان هناك في القرية المجاورة  
شاب مثله .. وكان أهل القرية يسمونه (الشيخ عطوة) ..  
ويتبركون به ..

وهي عادة ريفية قديمة .. عادة اعتبار المتخلفين عقلياً  
في عداد الأولياء الذين شفت نفوسهم إلى حد الاتصال بسو  
الكون ..

لهذا لم يكن صعباً عليهم أن يتقبلوا هذا الشريد البانس  
بينهم لا يهم من أين أتى ولا من هو ..  
المهم أنه بحاجة إليهم ..

أما عن المدعو (أبا) - أو ما ظنه الكاهن - فلم يكن  
سوى (محمد السقا) خفير شونة الغلال .. وبالطبع لم يكن  
(أبا) سوى نداء ابنته له حين رأت الكاهن .. وقد ظن هذا  
الأخير أن (أبا) هو اسم الرجل !..

كانت القرية مفعمة بعمال الترحيلة في تلك الآونة ، لهذا  
لم يكن وجود وجوه غريبة أمراً يثير الريبة ..

وكانت ابنة الخفير - واسمها (سعدية) - تتواثب هنا  
وهناك تعين الرجال على ربط غرارات الحبوب وتعذها ...  
وكان ابنه الشاب (إبراهيم) منهمكاً في معاونة العمال مع  
أبيه ..

كان القادم هو الخفير يحمل له شيئاً ملفوفاً في رغيـف  
خيز من الواضح أنه يؤكل ، وقال له شيئاً ما ..

ثم إنه أشار له إلى المخزن .. وقال شيئاً آخر ..  
قصة بسيطة لا تحتمل سوى تفسير واحد : - تناول  
عشاءك ونم في المخزن .. وغداً يوم آخر ..

التهم الكاهن الأخير بعض لقيعات متجاهلاً نظرات  
الرجل الفضولية له .. كان الليل هو ميعاد تمارين  
(النافاراي) في وطنه .. لكنه لم يعد حراً كي يزاول  
عادته ..

الأدهى هو أنه فقد القدرة على النوم ليلاً .. اختل إيقاعه  
الحيوي تماماً وغدت ساعات النهار هي ساعات نومه ،  
وهذا معناه أنه سيقضى ساعات تعسة طويلة من الأرق في  
ظلام المخزن ..

كان المخزن حاراً .. حاراً أكثر من طاقة تحمل هذا  
البانس القادم من أرض الثلوج ..

وكان قلبه مثقلاً بالهموم ..  
لذلك - حين نام أخيراً - كان الملل والقنوط هما اللذان

غشيا وعيه وليس النعاس ..

وغداً يوم آخر ..

★ ★ ★

## ٥ - مخالب النمر ..

« كالنمر الذي يفضل النوم في الشمس فلا يخرج  
مخالبه إلا لحظة الخطر الحقيقي .. »

★ ★ ★

قديمًا كان للفتى اسم هو (هن - تشو - كان) اختاره له  
أبوه .. ثم كان له اسم آخر هو (الزهرة الزرقاء) اختاره  
له الكاهن الأعظم .. أما اليوم فثمة اسم ثالث له رنين  
غريب اختاره له (أبا) .. هذا الاسم هو (الأخرس) ..

لم يكن يفهم معنى الكلمة .. ولا هو بالقادر على نطقها  
لو أراد ..

لكنه أدرك أنها تتعلق - بشكل ما - بصمته المتعمد  
المستمر ..

★ ★ ★

كانت الحياة تتحرك حاملة الفتى في ركبائها ..  
في الصباح كان يعاون العمال في حمل الأجوالة  
وعذا .. وفي الليل كان يتكوى كالحجر التعميس في أحد  
أركان المخزن المظلم راضياً - على الأقل - بأنه يحرس  
كتاب (النافاراي) الثمين ، ولم يكن يتقاضى أجرًا



- وما كان يهمه أن يتقاضى - سوى طعامه .. الوجبات  
الثلاث تدور كلها حول الخبز والجبن والزبد مع بعض  
الخضر المطهوه في مناسبات عشوائية ، أما قطعة اللحم  
التي كان يجدها أحيانا وسط الخضر فكان يلقيها للقطط ..  
كان - ككل (النافاراي) - عزولاً عن اللحوم والبيض ..  
لكنه كان يرحب بمنتجات الألبان ..

وفي الليل - وحين يتأكد من أن العيون لا تراه - كان  
يمارس تدريبات (النافاراي) الانفرادية في المخزن ،  
وحيثاً يقاتل خصوصاً وهميين ويتفادى ضربات لا وجود  
لها ... وهو شيء قريب مما يسميه لاعبو الـ (كونغ فو)  
بالـ (كاتا) ..

وكان أعقد تمرين استطاع أن يبتكره هو الإمساك  
بالفران !.. نعم !.. أنتم لم تخطئوا قراءة الكلمة !..  
إن سرعة الفران خارقة وانعكاساتها لا تصنق ...  
وكان عددها - لحسن الحظ - لا بأس به في المخزن ..  
فكان الكاهن الأخير يحاول محاكاة انعكاساتها بنفس  
السرعة والتوتر ..

تخيل منظره إذ يقف متصلباً كاتمًا أنفاسه متوترًا  
كالقوس .. ثم .. بدون استعداد ولا إنذار .. يقفز كالقط  
المسعور إلى ركن المكان وقيل أن ترى أنت ذراعه يكون  
قد التقط فأزا مذعورًا بانسًا من ذيله .. ورفع له لأعلى !..

ويحاول الحيوان التملص .. ويثني جذعه محاولاً عض  
اليد الحديدية التي أمسكت به لا يدري متى ولا كيف ..  
- « لا تخف يا أخي .. إن (النافاراي) لا يؤذي كائناً  
يتحرك .. » .

ثم يطلق سراحه .. فيفر الفأر غير مصدق لا يلوى على  
شيء ..

إنسان أسرع من الفأر !..

هل تصدق هذا ؟..

الواقع أن هذا التمرين - وليد البيئة - أتى بثمار غير  
متوقعة ..

كان الفتى يتفوق على نفسه يوماً بعد يوم ... إلى الحد  
الذي كان سيصيب الأخ (ميانج) نفسه بالذهول لو رآه ..

\*\*\*

كان الخفير وامرأته يعاملانه بشيء من الشفقة المغلفة  
بفظافة من لم تعلمه الحياة الفقيرة أصول الرقة ... لكنه  
كان يدرك أنهما يعطيانه ذروة الحنان الذي في جعبتهما ..  
وهذا يكفيه ..

وكان نكاؤه الخارق قد مكّنه من فهم العديد من الأنفاز  
التي يستعملونها وكان يبدي استجابته لكل هذا ، لكنه اخبر  
لنفسه شيئاً من الفهم لم يبده على السطح مدفوعاً في ذلك  
بحذر غريزي كحذر القط النمرى ..



يقول له الخفير مثلاً :

« هات جوالاً واربطه .. » .

فكان الفتى يحضر جوالاً .. ثم يتجاهل الجزء الخاص بالربط مدعيًا الغيباء أو البله . ورغم أنه أدرك منذ زمن بعيد - معنى احتشاد حروف الراء والباء والطاء في لفظة واحدة ..

وهكذا ينسكب محتوى الجوال على الأرض ، فيصيح الرجل محتقًا :

« أيها الأبله !.. اربط .. ألا تفهم معنى أ..ر..ب..ط..؟! » .

ويكون الفتى قد فهم أيضًا من احتشاد حروف الباء واللام والهاء أن الرجل يتهمه بالحماقة ، وقد أدرك - دون جهد - أن هناك مزية غريبة لهذه اللغة هي أن حروفًا معينة تؤدي المعنى متى احتشدت .. فكلمة (أبله) و(أهبل) و(بلاهة) و(بله) و(هبل) كلها تعنى الحماقة ..

وهو ليس أحمق .. لكنه يرحب تمامًا بهذا النعت ..

هذا عن الخفير وامراته ..

أما عن ابنهما (إبراهيم) فقد كان حديث السن ، وبحكم حداثة سنه كان عاجزًا تمامًا عن معاملته بركة ، وكان يتخذ

منه مادة للمزاح مع رفاقه - وهم مجموعة من الأوغاد شديدي السماجة - ولربما عرقل سيره ماذًا ساقه أمامه ، ولربما صفعه على قفاه ، ولربما انتزع الطاقية من على رأسه ورمها بعيدًا ..

كان الكاهن يمقته بجنون ويتمنى تهشيم رأسه .. لكن واجب الحذر كان يدلى عليه أن يصبر .. بل إنه لم يكن يملك حتى حق تفادى الضربات المهينة .. لأن سرعته في التفادى ستثير ذهول الفتى وأصحابه ، الذين لن يقتضى تحويلهم إلى مقعدين سوى ضربتين منه .. كانوا ذبابًا ..

وهو لم يقتل ذبابة في حياته ..

بعد هذا يجيء دور (سعدية) ..

هذا الشباب النضر الرشيق ، والنظرة الحانية المرهفة التي تقطر بالأنوثة من عينها الكحيلتين الواسعتين .. كانت معجبة به .. وتعنى بأمره ..

أدرك ذلك دون غرور .. بل في شيء من الدهشة لأن مظهره ووضع المزرى هما أبعد ما يكونان عن اجتذاب إعجاب فتاة ..

والمصيبة هي أنه كان معجبًا بها هو الآخر .. وكان على استعداد تام لأن يقع - كالذبابة - في خيوط هواها العنكبوتية .. لولا ....

★ ★ ★



وستحضر له كيزان الذرة المشوية خلف المخزن حين يجلس

متأملاً الأفق ..

وتقدم له كوزاً وتبدأ في التقاط الحبوب من كوزها ..

« لا تروهن يا (أناندا) .. لا تحثوهن يا (أناندا) ..  
وإذا تحدثت إليك واحدة منهن فلا تكثرث لما تقول  
يا (أناندا) !.. » .

★ ★ ★

« لا يحق لك (نافاراي) أن يتزوج حتى لا تسلبه نريته  
إخلاصه وحكمته .. فهل حقاً تفهم مغبة ذلك ؟ » .

★ ★ ★

نعم .. يفهم مغبة ذلك ...

وستنظر له الفتاة تلك النظرة التي تخفي آلاف الكلمات  
فيها، وستحضر له كيزان الذرة المشوية خلف المخزن  
حين يجلس متأملاً الأفق .. وتقدم له كوزاً وتبدأ في التقاط  
الحبوب من كوزها .. وتقذفها برشاقة إلى فمها .. ثم  
تسأله متربعة على القش جواره ..  
- « لماذا لا تأكل ؟! » .

الكاف واللام ولهجة التساؤل .. إنها تسأله عن سر عدم  
أكله، لاداعي إذن لمقاومة حبات الذرة الساخنة .. يملأ  
فمه بها ويلوكها في صمت ناسياً أن يحو عمق المعاناة  
من على وجهه ..

لحظات كهذه كانت لا تفوت الفتاة، عندئذ كانت  
- بغريزة الأنثى - تشعر أن هذا الفتى ليس معتوهاً .. بل  
هو يتظاهر بذلك ..



إنها تثرثر .. تثرثر .. تثرثر ...

وحتى في ذلك اليوم الذى جرح ذراعه فيه ، وقادته إلى ذلك المبنى الغريب كانت تثرثر ، وكان هناك رجل يرتدى معطفاً أبيض ضمد له ذلك الذراع ، أما هى فأخذت تشير إلى غرفة ما فى الطابق العلوى وتحدثه عن (إبراهيم) أخيها .. حكاية طويلة لم يفهم مغزاها .. يبدو أن (إبراهيم) هذا كان مريضاً وأحضروه هنا يوماً ما .

لم يكن كل هذا ذا أهمية ..

بل - والأسوأ - كان مملاً ومبتذلاً إلى حد لا يوصف .. هل سينتهى الأمر بأفضل كهنة (النافاراي) إلى أن يعيش ويموت مجرد عبيط قرية آخر !؟

\*\*\*

فى تلك الليلة كان جالساً فى المخزن يتأمل حين سمع صرير الباب .. تجمد الدم فى عروقه .. من هو القادم فى هذه الساعة ؟ ..

حتمًا هو ليس الخفير لأنه كَفَّ عن تفقد المخزن من زمن مطمئناً لوجود الفتى .. وبالطبع ليست (سعدية) لأنها ليست من هذا الطراز .. ولا هو (إبراهيم) لأنه لم يفعلها قط ..  
إنه هو ....

انفتح الباب أكثر .. وسمع صوت همس .. ثم إنه رأى عددًا من الرجال الملتئمين ينملون من الباب وهم يلهثون انفعالاً ..

لقد توقع ما هو أسوأ من حفنة لصوص غلال ، ولم يكن بيده ما يفعله سوى أن يقبع فى مكانه يراقب ما يحدث .. فلا الغلال غلاله ولا هو سيد الموقف .. فليأمل فقط ألا يراه هؤلاء الأوغاد .. ومن يدري ؟.. قد تتاح له فرصة الاستعانة بأهل القرية فيما بعد ..

كانوا يحملون مصابيح غريبة تضيء بلا نار .. وكانوا يتفقدون بها أرجاء المكان .. ثم .... أغشى الضوء عينيه ، وعرف أنهم رأوه .. وعرف كذلك أن رؤيته أثارت رعبهم أكثر بمراحل مما أثاروا هم رعبه ..

وسمعهم يهمسون بصوت مسموع ..

ثم رأى أحدهم يهرع نحوه فى جنون ملوحًا بنصل لامع فى يده .. وسمعه يردد عبارة واحدة :

- « ولا كلمة !! » .

الكاف واللام والميم .. واضح طبعا أنه يأمره بالصمت وإلا نبجوه .. ثم رأى أحدهم يضع يده على ذراع الأول مهدلاً من روعه :

- « سيبه .. ده بتاع ربنا ! » .

آه !.. إذن فهذا الرجل يعرفه ويعترف بلاهته  
المزعومة .. ولهذا يردد عبارة (بتاع ربنا) المرادفة  
للفظة (أبله) .. إن الرجل مثلث لكن عينيه قد حفرتا للأبد  
في ذاكرة الكاهن .. وسيعرفه يوماً ما ..

كان الرجل الأول العدوانى ما يزال يرمقه فى شك ..  
حين عاد الرجال يواصلون عملهم فى حمل الأجوالة خارج  
المخزن بحذر وسرعة ، وقد آثروا ترك فتاننا فى سلام ..  
إلى هنا كان الموقف مبشراً بالخير ..

إلى اللحظة التى فوجئ فيها الجميع بـ (سعدية) تقتحم  
المكان !.. كانت الحمقاء - كما هو واضح - قد سمعت  
جلبة من المخزن ، وبمنتهى الغباء نهضت وحيدة لترى  
ما هنالك .. أو لعلها توقعت أن الفتى هناك فلم تتوقع شراً ..  
وقبل أن تلمهم شيئاً وجدت نفسها بين المعتحمين ، وفى  
ثوان وجدت نفسها مكمنة الفم وقد نوى تراعها خلف  
ظهرها !..

حاولت المقاومة ودارت عينها سريفاً لتقعاً على  
الأخرس جالساً فى تراخ - كالجوال المنقى - على  
الأرض ..

عندئذ فهمت القصة سريفاً ..

دارت مناقشة سريعة بين الرجال .. فهم الكاهن  
فحواها دون جهد .. فهؤلاء الرجال التصاء قد تورطوا  
فى شاهدين على جريمة السرقة ، ولئن كان أحدهما  
معتوهاً فالآخر عاقل ويتمتع بلسان طلق .. والمصيبة أن  
لثام أحد المعتحمين قد انزلق من على وجهه مما جعل  
الفتاة ترى وجهه كاملاً فى ضوء الكشافات .. ومن  
الواضح أنها عرفته .. وأنها ستتسبب فى خراب بيته عند  
أول فرصة ..

لم يتك الكاهن ليلومهم على قرارهم الذى هو القرار  
الوحيد الممكن .. ولو كان مكانهم لوجد نفسه مضطراً إلى  
قتل الفتاة !، نعم .. لا حل سوى هذا .. ولو لم يكن فى  
حبالهم ولو لم يكونوا أوغاداً ولصوصاً لتمنى لهم التوفيق  
فى قرارهم الصائب هذا !..

لكنه مضطر أن يتصدى لهم ..

★ ★ ★

« لو أن لصاً هاجم دارك فلن يمنعه (التفادى) من  
سرقتك .. لن يمنعه من إيداء أمك العجوز .. لن يمنعه من  
تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد .. »

★ ★ ★

كانوا منهمكين فى النقاش حول مصير الفتاة حين  
سمعوا - ورأوا - أغرب شيء تصوره ..



حركوا مصابيحهم تجاه الفتى الأبله ليروا ما يحدث هناك ..

كان يقف متحفظاً مباعداً ساقيه مثبتاً قدميه على الأرض ، ثم إنه رفع عقيرته بصيحة لم يعرفوا لها معنى :  
- « تشا ساراياتا !! » .

ثم إنه مَدَّ ذراعيه المتصلبتين على أقصى امتداد لهما ..  
وصرخ :

- « جوانغ ساراياتا !! » .

وأرجع رأسه إلى الخلف ونفث صدره :

- « كيو ساراياتا !! » .

تبادلوا النظرات الحائرة .. ماذا دها هذا الأبله ؟ .. وأية لغة هذه ؟ ألم يسمعوا أنه أخرج كالأسمك ؟ .. على أنهم فهموا شيئاً واحداً ..

أن هذا الفتى يحتشد لموقف عدواني ، وبعبارة أخرى يريد ضربهم وقد غدا تأديبه حقاً عليهم ..

لم يفهم هؤلاء الحمقى - أن الفتى قد قام بواجبه كاملاً ، وأتذرهم بما لا يترك لهم عنزاً .. إنه سيبدأ الـ (ساراياتا) وحذار من الـ (ساراياتا) ثم إليكم بالـ (ساراياتا) يا من لم تقرأوا الفصل الثالث ..!

إن أحداً لا ينكر ما حدث ..

ثم إن الظلام ساد المكان إثر سقوط المصابيح من أيدي حاملها ، لكن هذا الشيطان كان يرى في الظلام كالوطاويط ..

كأن عشرة أقدام تطايرت في وجوه اللصوص في لحظة واحدة ، ثم ارتطمت عشر قبضات في بطوتهم ..

لم يعد الفتى يرى رجالاً .. بل منات من نقاط (الكارفا) الزرقاء - التي تسبب إصابتها فقدان الوعي - تلتصق في الظلام .. وكان عليه أن يصيبها جميعاً حتى لا يلومه الأخ (ميانج) ..

نصل سكين هوى نحوه بسرعة الصوت ، لكنه كان يملك سرعة الضوء .. فتمرغ أرضاً ثم رفع مشط قدمه ليركل حامل السكين في أسفل بطنه ..، وسمعه يئن كالكلب الجريح .. وسمع - بأذن الخيال - الأخ (ميانج) يلومه :  
- « ليس الـ (شورا) أيتها الزهرة الزرقاء ..!.. ليس الـ (شورا) !.. »

إنك تسببت في إصابته بالشلل وأنت لم ترد سوى إفقاده وعيه ! .

- « اغفر لي أيها الأخ (ميانج) ! » .

كان أحدهم يحاول الفرار ..

من ثم وثب الكاهن الأخير على ذراعيه .. ودار في الهواء ليسقط أمام الرجل .. قال ذلك الأخير شيئاً ما .. ثم تلقى لكمة على جذور عنقه جعلته يهوى أرضاً كبالون منقوب ..

أحد المتحمسين ينقض عليه بفأس وجدها على الأرض ..

تتحى الكاهن الأخير جانبًا تاركًا الرجل يندفع كالقطار المجنون في طريقه ، ثم وضع ساقه في طريقه فهوى أرضًا .. وبسقوطه كشف عن فقراته العصصية أكثر نقاط الـ (كارفا) ثراء ووفرة .. وهكذا يكفى سيف يد واحد على أية نقطة كى يجعله يغيب فى نعاس لذيذ .... وهكذا انتهت المعركة ..

لم تستغرق سوى ثلاث دقائق ، لكنها خلفت فوضى لا توصف .. وجثث عشرة لصوص لم يصدقوا بعد أن ما حدث حقيقى ..

كانت (سعدية) واقفة فى موضعها بعد أن أطلق سجانها سراحها .. ليشارك فى المجزرة وينال نصيبه منها ..

لم تبدل وقفاتها .. ولم تأت بحركة واحدة من بداية المعركة حتى نهايتها .. فقد أنجمها الذهول ..

وكان صدرها يعلو ويهبط انفعالاً .. أما الفتى فقد وقف متصلبًا يرمى ضحاياه بضع ثوان ..

ثم استرخى قليلًا .. وهتف بصوت عال :  
- « سوان هاتشاه (ساراياتا) ! » .

أى : لقد أنذرتكم أننى سأستعمل الساراياتا ! ، وهى العبارة التى تحتم تقاليد (النافاراي) عليه أن يقولها فى نهاية القتال .. برغم أنه - فى حالته هذه - لم يكن هناك مستمعون على الاطلاق !..

وفى تودة سار نحو الفتاة المتصلبة .. وربت على كتفها برقة .. وللمرة الأولى حاول أن ينطق عبارته العربية بفصاحة يحسد عليها :

- « هم .. سييء .. هم .. سييء .. أنا أضرب سييء !.. » .

لم تكن هذه هى نروة البلاغة فى اللغة العربية .. لكن العبارة كانت مفهومة وواضحة .. لقد ضربهم لأنهم أشرار ..

وعبارته الثنائية كانت واضحة بالمثل :

- « أنت .. سر .. أنت .. سر .. » .

لم تجب الفتاة .. فقط رفعت عينيها إلى وجهه واتصمتا وارتجفت شفتاها .. وفى حدة همست متسائلة :

- « من أنت ؟! » .

★ ★ ★



المشكلة الحقيقية هي الفتاة الثائرة التي لن تصمت  
دقيقة واحدة بعد هذه اللحظة .. وستسرد ما حدث على  
أبيها وأميها وصديقاتها وجيرانها .. وستعكبه للأبصار  
والماعز والأشجار العجوز ..

عندئذ .. كيف يفسر ..؟ وكيف يشرح ..؟

لقد كان مضطراً إلى ما فعل .. لكن هذا الذي حدث قد  
أفسد مستقبله في هذه القرية للأبد .. وعليه الآن أن يجد  
قرية أخرى ويلفق قصة جديدة ..

سار في تتأكل إلى الليل الصامت خارج المسكن ..  
وشرح يتأمل النجوم التي - كعادتها - كانت مختلفة  
وسمجة وأقل وثأ من نجوم وطنه ..

- « (نافاراي) !.. » -

كذا همس وهو يوشك على البكاء ..

- « أنا بحاجة إليكم ... » -

★ ★ ★

لم تتم (سعدية) في تلك الليلة ..

قضت الوقت تتأمل السقف المدعم بالجنوع الخشبية ،  
وتسترجع ذلك المشهد الدرامي الذي رآته منذ ساعات ..  
لم تصدق حتى هذه اللحظة مشهد قضاء هذا الفتي  
الناحل المهزول على عشرة لصوص .. عشرة فتوات إذا  
صح التعبير ..

## ٦ - افعل شيئاً يا دكتور !

عندما تغرب الشمس وتلطخ لهاؤها ثوب المساء  
الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر (النافاراي) ..

★ ★ ★

لم تنتظر الفتاة لتفهم أكثر ..

بادرت بالفرار إلى الدار حيث يغط أهلها في نومهم ،  
ومئات التساؤلات تتصارع في ذهنها ..

على حين وقف (الأخرس) وحيداً في المخزن يتأمل  
- دون فخر - حصيلة عمله الباهر ملقاة على الأرض ..  
مهشمة الأطراف .. تئن ..

كان يعرف أن اللصوص سيلملمون جراحهم ويرحلون ،  
وسيصمتون تماماً فلن يجرؤ أحدهم على إعلان ما حدث ..  
حتى التنص الذي أصيب بالشلل سيزعم أنه أصيب في أثناء  
عمله في الحقل .. ولن يتكلم أكثر ..

لا مشكلة من هؤلاء ..

إن تفكيرها الذى كفى عن النمو منذ رسبت فى المدرسة  
الإعدادية لم يجد سوى تفسير واحد جاهز لكل ما رآته ..  
إن هذا الفتى هو .... بسم الله الرحمن الرحيم ....  
نعم .. لا تبرير سوى ذلك يفسر العثور عليه فى المخزن  
فجأة .. وقضاه على أولئك الأوغاد بطريقة قتال لم تر  
مثليها قط ... والعينين الضيقتين العجيبتين .. هى تعرف  
أن الجان فى قصص الفلاحين تكون عيونهم مشقوفة  
بالطول .. لكن هل هناك ما يمنع أن يوجد جنى شئت عيناه  
بالعرض !!؟

دعك من اللغة (العفاريتى) التى استخدمها قبل ضرب  
الرجال .. لسوء الحظ تلاشى أى إعجاب من روحها ليحل  
مكانه الهلع .. الهلع من هذا الشيء الذى يغفو على بعد  
أمتار من مضجع أسرته ..  
ماذا تفعل ؟؟

لن تجرؤ على إخبار ذويها فلن يصدقوها .. وإن فعلوا  
فمن يضمن لها ألا يفعل بهم هذا الجنى ما فعله  
باللصوص ؟؟

أفكار عديدة وهواجس شتى تصارعت فى ذهنها حتى  
الصباح .. إلا أنها - مع شعاع الفجر الأول - كانت قد  
أزمعت أمراً ..

★ ★ ★

نسيت فى غمار الأحداث أن أنكر لكم اسم هذه القرية  
التي وقع عليها حظ الكاهن الأخير دون كل قرى الأرض ..  
اسمها هو .. (كفر بدر) !!..

هذا بالطبع .. إذا ما كنتم تذكرون الاسم .. ألا يذكركم  
اسم الفتى (إبراهيم السقا) بشيء ما ؟؟ إنه المراهق الذى  
أنقذته من براثن النداهة .. وتجارب د. (عاصم)  
المخبولة ... وبالطبع هو شقيق (سعدية) ..

أسمع بعضكم يغمغمون أن المسألة (واسعة شوية) ،  
فلهم أقول إن قراءتكم ما أكتب هى معاهدة ضمنية على أن  
تصدقوا ما تقرأون وأن أصدق أنا فيما أكتب ... من غير  
العدل أن تصدقونى حين أحكى عن صراعى مع (العساس)  
أو وحش (لوخ نس) .. ثم تأبون تصديقى حين أقول إن  
الصدفة جعلت الكاهن الأخير يظهر فى قريتي .....

لاخداع فى الأمر ...

لهذا كفوا عن إهانتى بترديد أنتى مجرد نصاب آخر ...

★ ★ ★

كانت الفتاة تذكر جيداً دورى فى إنقاذ أخيها من  
النداهة .. كما سمعت شيئاً عن هوايتى السخيفة فى جمع  
الأشباح ... من ثم قررت فى ذهنها أن د. (رغبت  
إسماعيل) هو رجل (يفهم فى هذه الأشياء) ..



وكانت قد رأيتي البارحة أسير مع (طلعت) زوج أختي  
عائدين من صلاة العشاء في مسجد القرية... وأثار  
ذهولها - تقول هي - ما بدا على وجهي من خطوط معاناة  
وتقدم في السن ...

إلا أنتى - تقول هي أيضا - كنت أوحى بالثقة .. أو على  
حد قولها (ارتاحت لوجهي السمع) ..  
وهكذا ...

عند العصر كنت أغفو في حجرتي على سريري الخشبي  
المتهاك ، حين دخلت أمى - رحمها الله - لتقول لى إن  
(سعدية) بنت أبى (إبراهيم) تريدنى !!

أثارت ذهولى هذه الجرأة للوقحة .. فلم تصارحتى  
امرأة فى حياتى بأنها تريدنى برغم أنه لا بأس بهى على  
الإطلاق ، ثم عدت لصوابى فأدركت أنها تريد د. (رفعت)  
لا (رفعت) .. والغالب أنها ستأخذ رأسى فى أخيها  
(إبراهيم) الذى لا يأكل كما يجب .. أو يبول دما .. أو أى  
شء من هذا القبيل ..

ترلت متثاقلاً لأرى ما تريد ، مشوش للفهن من أثر  
النعاس ..  
وعلى المصطبة التى فى مدخل الدار جلسنا ..

كانت مذعورة ولا ريب .. متوترة دون شك .. ترتجف  
ولامراء ..

- « أغثنى يا أستاذ (رفعت) ! » .  
- « كلى أذان صاغية ... » .

فأخذت بأنفاس مبهورة تحكى لى القصة منذ وجدت  
ذلك الفتى فى المخزن وحتى حطم عظام الأوغاد العشرة ..  
كانت القصة غريبة .. وأنا لم أعهد فى (سعدية) حماقة  
ولا هستيريا على الأقل أكثر من أية فتاة فى عمرها ... ثم  
إن طريقة القتال التى تصفها لا تبدو مألوفة .. بل هى  
تذكرنى بالرياضات العسكرية اليابانية إلى حد ما (فى ذلك  
الوقت لم يكن مخلوق فى مصر قد سمع عن الكاراتى  
والكونغ فو) ..

- « والحل يا (سعدية) ؟ .. ما المطلوب منى ؟ » .  
- « أن تعرف حقيقة هذا الشء ! » .  
- « وهل أنا خبير عفاريت ؟ ! » .

- « يقولون كذلك وأكثر .. ألم تتصد للنداهة وأنقذت  
أخى ؟ » .

- « بلى .. لكنها كانت نداة مزيفة .. أعنى نوغا  
من ... » .

اتسعت عيناها وتجمدت فيهما دمعان .. لم يكن ثمة  
مجال للإفلات .. قلت متتهذا :

- « حسن .. كيف أراه ؟ »

★ ★ ★

في المساء أحضرته لى ..

كنت جالساً عند مدخل الدار أحسو كوباً من الشاي  
مرتدياً الجلباب - على سبيل العودة للجذور - حين رأيت  
خيال الفتاة .. يسير جوارها في استسلام شاب رث الثياب  
مُشوّش الهيئة مُغبرّها ..

من النظرة الأولى أدركت أنه ليس أبه أبداً ..

ومن النظرة الثانية أدركت أنه غير مصاب بالعتة  
المنغولى الذى فهمت من الفتاة أنه مصاب به .. لا توجد  
علامات أخرى من أى نوع مثل اللسان المتدلى المشقق  
وعنق أبو الهول والجمجمة الهرمية وثنية القروذ فى كفه  
.. إلى آخر ما جف ريق أستاذتنا وهم يعلمونه لنا ..  
إن هذا الذى أراه هو - ببساطة - رجل آسيوى ..!

لا تسلنى كيف ولا من أين جاء ..

أما النظرة الثالثة فأدركت منها أنه قوى كالنمر .. برغم  
نحوه الملحوظ كانت عضلاته تامة الاكتمال يمكنك عذ  
أليافها واحدة واحدة .. هو قوى كالنمر .. خفيف الحركة  
كالنمر .. متوتر دائماً كالنمر ..



فأخذت بالنفاس مبهورة تحكى لى القصة منذ وجدت ذلك الفتى فى

المخزن وحتى حطم عظام الأوغاد العشرة ..



قالت لي النظرة الرابعة إنه حزين كالغروب .. كالخريف ..  
أما النظرة الخامسة فأكدت لي أنه يدارى سرًا هاتلاً بين  
ضلوعه . وأدركت من النظرة السادسة أنني سأثير توتره أكثر  
بكل هذه النظرات والامتحان البصرى الذى عقدته له !!  
لهذا ابتسمت وأشرت له كى يدخل الدار ..  
« شأى يا حاجة .. » .

ناديت أمى وأنا أفود الفتى عبر الدرجات الترابية إلى  
حجرتى ، ثم أومأت للفتاة برأسى أنه يمكنها الانصراف ..  
أجلست الفتى على الكنبه وجلست جواره محاولاً أن  
أبدو ودوداً غير عصبى ... إلا أنه كان متوتراً تماماً ..  
وأدركت من اختلاج عضلات فكيه أنه سيثب فى أية لحظة  
ليفر أو يوسعنى علقه ساخنة !!  
« سيجارة ؟ » .

« ..... » .

بالطبع لم يأخذ السيجارة ولم يرد .. وجلبت أمى الشأى  
وهى ترمى الموقف فى حيرة فشكرتها .. وقدمت الكوب  
للفتى فأمسكه بكفه دون أن يشرب .. إن هذا الغريب ..  
كوب الشأى يتوهج بلهب الموقد فلا يسعك سوى أن  
تلمسه بضع ثوان ومن حافظه .. أما هو فيمسكه بكل  
ارتياح وامتلاك ، تلك الموهبة التى لا يملكها سوى مرضى  
الأعصاب الطرفية أو ذوى التحمل الفائق ..

ظللنا وحيدين بضع ثوان ..  
ثم قررت أن أبدأ ....

بدأت أسأله عن نفسه فلم يبد عليه أى اهتمام ... لكننى  
أدركت أن استقباله لأسئلتى هو أقرب لاستقبال اللص  
لأسئلة المحقق الذى يبغى معرفة باقى أفراد العصابة ! ..  
هو يفهم كلامى لكنه لا يريد الإجابة ..

سألته بالإنجليزية .. بالفرنسية .. فلم يبد أى رد فعل  
إيجابى ..

أدركت أننا سنظل ها هنا حتى تقوم الساعة ما لم أجد  
فكرة أفضل ، وهنا تذكرت أن عندى أعداداً من مجلة  
(لايف) أحضرتها معى من المدينة .. وكانت إحداها تحوى  
مقالاً سخيفاً ومستفزاً عن زيارة أعضاء فريق (الخنافس)  
للنبت ، وانبهارهم بالفلسفات البوذية .. المهم أن المقال  
كان حافلاً بصور الأديرة وتمائيل بوذا والرهبان صنع  
الرءوس فى ثيابهم الصفراء .. (إن من يذكرون أواخر  
الستينات يذكرون مشاكل حرب فيتنام وشعارات الهيبز  
وموضة الاهتمام بالبوذية وشعار هارى كريشنا هارى  
راما) ..

لم يخب ظننى ! ..

لقد أثارت هذه الصور شغف الفتى .. وبدا منبهراً إلى حد لا يُوصف وإن حاول عدم إظهار حماسه ...، وبعبصية وضع كوب الشاي على الأرض ..  
عيناه تتسعان في شوق ولهفة .. ثم ينظر لى وللمجلة ..

- « يمكنك أن تأخذها ! » .

ناولته إياها وأنا أكاد أبكى حسرة على ثمنها .. وقلت لنفسى إنه لو كان هناك الكثيرون من أمثال هذا الآسيوى المشتاق لـ (بوذا) فإن خراب بيتى قريب ! ..  
تصفح الصور فى ذهول ويداه ترتجفان .. ويرغمه كان يردد كلمات بلغة لا أعرفها ..

ثم إنه أشار لى وللمجلة مدممًا مرات عديدة :

- « أنت .. أنت .. ماهايانا ! » .

أشعلت سيجارة .. وتتهددت فى صبر :

- « لحظة يا بنى .. ولو كنت تعنى أننى ذهبت هناك فأنا

لم أفعل ! » .

- « ماهايانا .. » .

- « لا أفهم هذه الكلمة .. ولكن .. لنقل إننى الآن متأكد

من أنك بوذى .. » .

بدا عليه عدم الفهم .. عينان زانفتان ترمقانى فى حماقة .. من ثم أشرت بإصبعى إلى المجلة .. إلى صورة (بوذا) المتربع فى جلسته الشهيرة على عرش اللوتس .. وهتفت :

- « (بوذى) يا غبى .. مثل هذا .. هذا .. (بوذا) .. » .

بدا عليه الامتعاض حين فهم .. وأشار إلى نفسه فى عصبية :

- « أنا .. لا .. لا .. أنا .. (نافاراي) ! .. » .

- « (نافاراي) ؟ .. هل هى ديانة جديدة لا أعرفها ؟ ..

إن أديانكم الآسيوية هذه يا بنى تحتاج إلى عقل أصغر من عقلى بعشرين عامًا كى يتذكر أسماءها .. » .

يبدو أن لسان الفتى قد انفك من عقاله .. إن الصورة التى رآها قد أذابت الجليد نهائياً فيما بيننا .. والغريب أن كل هذا يؤكد أنه آسيوى .. ولكن كيف ؟ ولماذا هذه القرية بالذات ؟ ..

- « والآن .. حان الوقت كى أفهم ... » .

سألته فى حزم .. فكانت النتيجة مباغته ... رأيت

ينهض وقد أدرك أنه قدّم لى أكثر مما ينبغى ..

- « أنصرف .. أنا » .



- « و .. لكن .. أنا لم أفهم بعد ... » .

لم يعطنى فرصة للمزيد من الكلام لأنه طوى المجلة فى قبضته .. واتجه للباب .. حاولت أن أمسك بكتفه لكنه تملص ببراعة - كالحنكليس الذى لا أدرى ما هو بالضبط - واندفع خارجًا تاركًا إياى واقفًا كالحمقى فى وسط الغرفة ....

سيكون التفاهم مع هذا الفتى أعقد مما تصورت ..  
لكنى لم أكن على علم بما سيحدث ...

★ ★ ★

## ٧ - إنه هنا !! ..

فيما بعد علمت أن (الأخرس) عاد أترأجه إلى دار (السقا) تحت أستار الظلام ، كان حائزًا تائهاً فى دهاليز هواجسه وأفكاره ..

لقد بليت الصور التى أرىتها له أية خطط مستقبلية لديه ، فهو واثق الآن من أن عالمه موجود ولم يتبدل كثيرًا .. نفس التلوج ونفس الرهبان وذات الأبيرة .. كأنه لم يبرحه قط .. ولكن .. كيف يصل إلى هناك ؟ .. ما هى علاقته الجغرافية فى هذه الأرض بعالمه القديم ..؟ من هو ذلك الرجل الأصلع النحيل الذى أراه الصور ؟ .. ولماذا كانت الفتاة إليه ؟ .. إن أسلوب تعاملها يوحى بأن هذا الرجل ذا المنتظر (يقهم فى هذه الأمور) .. ولكن أية أمور هى ؟ .. هل هو يقهم فى الـ (ناقاراي) مثلًا ..؟ ولكنه بالتأكيد لم يسمع عنهم .. واضح فقط أنه يعرف شيئًا عن البوتيين .. والأهم - والأغرب - هو هذه الطريقة العجيبة فى (حبس الحياة) على الورق .. قلم يكن القسى قد رأى صورة فوتوغرافية فى حياته !! ..

★ ★ ★

كانت العاشرة مساءً حين دلف إلى المخزن ..  
وكانت الفرنان - صديقته - تتواثب هنا وهناك .. حين  
نزع جلبابه وتأهب لبدء تدريبات المساء ...  
وهنا شعر بشيء غير عادي ..  
ثمة شيء على غير ما يُرام في المكان ..  
انحنى على الأرض يتفحصها في توتر باحثاً عن شيء يبزر  
ما يشعر به من نذير غامض ...، وبإصبعين التقط الشيء الذي  
أثار ريبته .. الشيء الذي لم يتوقع أن يراه قط .. الشيء الذي  
يعنى أن قدره كامن في مكان قريب ينتظر ..  
هذا الشيء هو قرط صغير ملقى وسط حبيبات الذرة ..  
ولم يكن قرطه ! ..  
هو يعرف جيداً هذا القرط ويعرف صاحبه ..  
أما الأسوأ فخصلة من الشعر الأسود الأملس ملقاة في  
إهمال على بعد خطوات ..  
طبعاً لا داعي للتساؤل عن مغزى هذا ....  
لقد دفن هو مخلقاته بعناية وها هو ذا موضعها كما هو  
لم يمسه أحد .. ولم تتبشه الفرنان ..  
إن هذه الأشياء تخص واحداً بعينه ..  
واحداً جاء باحثاً عنه عبر الأزمان والمسافات ..

واحداً عرف أنه هنا .. وعرف كيف يتخفى مثله .. وهذا  
الواحد قد وصل لهذا المكان منذ ساعات بينما كان جالماً  
مع الرجل الأضلع ذي المنظار ..  
إنه (جينغ - تشا) دون أنني شك ! ..  
لقد نسي الكاهن الأخير الورقة التي تتحدث عن طريقة  
(شانكين) لأنه انتزعها من كتاب الـ (شوكارا) إذ حاول  
الهرب .. ولقد وجدها (جينغ - تشا) ومن معه ، وأدركوا  
أن هذا هو الطريق الذي قرّ منه ، وأدركوا أن كتاب  
الـ (شوكارا) الثمين معه ..  
من السهل إذن أن تتخيل ما حدث ..  
لقد عكفوا شهوراً على دراسة الـ (شانكين) حتى  
توصل (جينغ - تشا) - وربما آخرون - إلى السفر عبر  
الأثير لاحقين به ، ومن المؤسف هنا أن هذه الطريقة  
اللعينة لا تقود إلا إلى مكان وزمان واحد كما يبدو .. وهم  
يأملون أن يجدوا طريقاً ما للعودة بعد أن ينتهوا منه ..  
للمرة الأولى تحرك في أعماقه - وأحشائه - شعور  
جديد من نوعه لم يخبره من قبل .. الرعب ! ..  
إن (جينغ - تشا) ليس بالخصم السهل ..



هو يعرف كل أسرار الـ (تافاراي) تقريباً .. وهو أستاذ  
فى التقليدى ويالطبع لديه خبرة لا بأس بها بالقتال الإيجابى  
(سارايانا) .. الأسوأ هو أنه ترعرع مع الكاهن الأخير  
ويقهم جيداً كيف يفكر وكيف يحلم وكيف يتصرف ..

لن يسهل عليهم أخذ شيء من الكاهن الأخير وهم  
يعلمون ذلك .. لكن هب انهم عذبوا أفراد هذه الأسرة  
الطبية لإجباره على الكلام .. هذه الأسرة التى لا تنب لها  
سوى أنها أوتته ..

هو لا يتحمل رؤية أعواد بامبو منبوبة تحت أطفال  
(سعدية) ، أو شعبان يلتف حول عنق أبيها ..

إن لك (ماهايانا) أساليب تعذيب عيقرية تعلموها من  
الصينيين .. عندئذ لن يجد مقراً من الكلام .. بل الثثرة ..  
ويوم يحصلون على الكتاب .. من يدري ما سيحدث  
بعدها ؟

المصيبة الحقيقية هى أن (جينغ - تشا) قد أخذ أهيته  
للتخفى والتدويان وسط أهالى القرية كما فعل (هن - تشو -  
كلان) ..

لهذا يتحتم أن يفانر القرية أو على الأقل يعرف مكان  
هنا الشيطان ..  
ولكن كيف ؟..

من السهل أن تبحث عن وافد جديد على القرية .. وافد  
يتظاهر بالخرس وملامحه أسبوية .. هذا سهل .. سهل  
لو كنت تتكلم العربية !..

قل لى بريك كيف تسأل حمقاء مثل (سعدية) عن  
شخص له هذه الصفات مستعملاً لغة الإيماءات ؟!..  
إن الأمر مستحيل أو هو أقرب ما يكون إلى  
الاستحالة ..

وهنا بدأ (هن - تشو - كان) يفكر فى شخصى  
المتواضع ..

إن شيئاً ما فى ذلك الأحمق ذى المنظار يوحى بالثقة ..  
إن عينيه صادقتان فيهما شيء من الذكاء .. ثم هو - قبل  
كل شيء - يعرف (التبث) ويعرف رهبان الـ (ماهايانا) ..  
وربما أكثر ..

فلماذا لا تحاول مصارحته ؟..  
ولماذا لا تجرب طلب عونته ؟..  
ولماذا لا تلقى بعبء السر الذى يثقل كاهلك بعض  
الوقت ؟

\*\*\*

ولهذا - فى الصباح الباكر - أخبرتنى أمى أن المعتوه  
الذى زارنى ليلة أمس قد عاد يبغى مقابلتى ..

- « وهل (سعدية) معه ؟ » .

- « لا يا بنى .. يبدو أن هذا الأب له قد أعجب بك ! » .

- « إن كل بلهاء العالم يحبوننى يا أماء ولا أدرى سبب

ذلك ! » .

ابتسمت فى رقة وإن لم تفهم دعابتي تمامًا ..

ثم إنها خرجت من الحجرة .. وبعد ثوان لمحت وجه

الفتى المغلق إذ دلف من الباب وخطوته ملينة بالتردد

والحيرة ..

جلس - كما طلبت منه - على الكنبه الخشبية .. وشرع

يعاثر طرف القماش الرخيص الذى يغطيها باحثاً عن بداية

مناسبة لما ينوى أن يخبرنى به ..

بضع دقائق .. ثم همس بصوت غليظ :

- « (جينغ - تشا) ! » .

- « من ؟ » .

- « (جينغ - تشا) .. هنا ! » .

تتحننت وأشعلت سيجارة ومضيت أجوب الغرفة جينة

وذهاباً .. وأنا أضغم كمن يحدث نفسه :

- « اسمعنى يا بنى .. لربما أبدو حكيمًا .. ولربما

يوحى منظاري السنيك بعلم لا أملكه .. أنا أعترف أنني

أبدو أنكى مما أنا عليه .. ولكن .. » .

وصرخت فى غل مشيرًا نحوه بطرف السيجارة :

- « .. إذا ظننت أن علمى يصل إلى حد فهم ما تقول ..

ومعرفة هذا الـ (جينغ - تشا) وما إذا كان اسمًا أو فعلًا ..

فأنت مخطئ ! » .

لم يتحرك .. ولم تختلج عضلة فى وجهه ..

امتصت عقب السيجارة فى جشع .. وقلت بعد أن

هدأت نوعًا :

- « أنا أمقت من يحدثوننى وكأننى على علم بكل

شئ .. أرجو أن تتحدث بشئ من التفصيل .. ومن بداية

القصة .. » .

لنق شفتيه بطرف لسانه .. وبدأ يتكلم ..

وكاتت هذه هى البداية ..

بداية دورى أنا ..

★ ★ ★

استغرق الحديث نهارًا كاملًا ..

وكان أعجب حوار يمكن أن يدور بين رجلين ..

لك أن تتخول ذلك المزيج العجيب من العربية الرديئة

والإيماءات - التى تصل أحيانًا إلى الوثب عبر الغرفة -

والإشارات ورسم الأشكال التوضيحية على (بلوك نوت)

قديم بقلمى ..





إلى أن مذ يده إلى صدر الجلباب وأخرج المجلة إياها وفتحها على  
صورة أحد رهبان التبت ..

فهو - مثلاً - لم يكن قادرًا على شرح معنى كلمة (نمر)  
لى .. فكان يكشر عن أنيابه ويزأر .. من ثم كنت أرسم له  
أسداً كروكياً وأسأله :

- كهذا ؟ -

فيهز رأسه أن لا .. من ثم أرسم له كلباً .. وتمساحاً ..  
ونمراً حتى أدرك أنه يعنى الأخير ..

وكنت أنا أيضاً أزداد خبرة بمفردات لفته .. لكن بعض  
الألفاظ كانت عقبة حقيقية .. فمثلاً (الكاهن الأعظم) لم  
يستطع هو التعبير عنها ولم أستطع أنا فهمها .. إلى أن مذ  
يده إلى صدر الجلباب وأخرج المجلة إياها وفتحها على  
صورة أحد رهبان التبت .. وفتح ذراعيه ليوحى لى بمعنى  
(كبير .. كبير جداً) ..

وهكذا فهمت أنه يعنى (الراهب الأكبر) أو (الكاهن  
الأعظم) .. وحرصت على أن أتذكر الكلمة :  
(ساكاسورانا) حتى لا نعود لذات المشكلة مرة أخرى ..  
(ساكاسورانا) .. (ساكاسورانا) .. أدعو الله  
ألا أنساها !..

وحين تحدث عن نفسه باعتباره (ناجا سورانا) أدركت  
أن (سورانا) معناها (راهب) أو (كاهن) أما (ساكا)  
فمعناها (أعظم) .. إذن فما معنى (ناجا) ؟ ..

فهمت المعنى حين أشار لنفسه مراراً مؤكداً :

حدي يخبرني بذلك .. وخبرتي الطبية التي - وإن  
شككت فيها - لن تعجز عن معرفة الجنون حين تراه ..  
يبقى إذن احتمال واحد ..  
أن يكون هذا الفتى عاقلًا وصادقًا معًا ..  
وعندئذ .. يكون (النافاراي) حقيقة لا غبار عليها ..

★ ★ ★

- « بعد لا ..! بعد لا ! » .  
- « تعنى أنك الأخير ..؟ » .  
- « نعم .. نعم .. أخير ... » .

إذن (ناجا) معناها: الأخير .. وهذا الفتى هو آخر  
(سوراننا) على وجه الأرض .. أى أنه - بالفعل - هو  
الناهن الأخير ..

وكان .. بدأ جدار عدم الفهم يتهاوى ..

أية لذة ونشوة غمرتني وأنا أرتاد هذا العالم البكر ..!  
عالمًا لم أتخيل حتى وجوده .. وسنوات نضرة خضراء من  
المعرفة تضاف لعمرى أنا الذى طويت الأميال والأزمان  
إلى أرض باردة تغطيها الثلوج .. ويحلق فيها الرهبان  
فوق الأرض ..

إن الفتى لا يكذب ..

فالصدق يشع من عينيه وصوته وخلجات يديه ..

لكنى لا أصدق حرفًا ..! .. وهذه مشكلتى وحدى ..

إنها معادلة صعبة جوابها الوحيد أن يكون الفتى

مخبولًا .. أى أنه يخرف لكنه يؤمن تمامًا بهذا الخرف ..

لكن الفتى عاقل تمامًا ..



## ٨ - الهرب ..

حكى لى (هن - تشو - كان) - أو (الأخرس) أو (الزهرة الزرقاء) أو (الكاهن الأخير) - كل شيء عن عقيدتهم .. كما حكى لى ما عرفته أنت في الفصول السابقة ..

وسأحاول هنا أن أُلخص ما قاله بألفاظي أنا .. فلم يعد داع لأن أغرقك في تفاصيل الحوار الركيك الذي شربته وحدي حتى الثمالة ..

قال لى الفتى إن (النافاراي) - مثلها مثل البوذية - ليست ديانة .. بل هي فلسفة للتأقلم مع الحياة (\*).

وقال لى إنها انفصلت عن البوذية بعد ما سئم مؤسسها (شيان - قه) من كل تلك السلبية والانفصالية التي تتعامل بها البوذية مع العالم ..

إلا أنها ظلت أمينة على الكثير من فلسفات (بوذا) ..

(\*) مذهب (النافاراي) هو وليد خيال المؤلف بأكمله، لكن ما ذكر هنا عن البوذية صحيح تماماً .

كان (بوذا) هو النبييل (سيدهارتا جوتاما) من (نيبال) الذي دربه نساك (البراهمانا) على التثقف .. إلا أن الفتى ظل ظامناً إلى شيء لا يدري كنهه .. ظل ظامناً إلى الحكمة وفهم الكون ..

وفي (بودجايا) شمال الهند ساقته قنماه إلى شجرة، جلس يتفكير في ظلها ويتأمل .. ويقال أنه فهم كل شيء في جلسته تلك ..

وبعد أيام خرج يخبر الناس أنه وصل إلى الحقيقة .. فما هي هذه الحقيقة ؟ ..

قال (جوتاما) إن هناك أربع حقائق تحكم البشر .. هذه الحقائق هي المعاناة، والرغبة في شيء ما تولد هذه المعاناة، لهذا يجب إطفاء الرغبة في هذا الشيء .. ويجب على المرء أن يتعلم كيف يطفى رغبته هذه ....

ولإطفاء الرغبة في كل شيء وضع (جوتاما) مبادئه المتمثلة في العجلة الثمانية التي يقنسها البوذيون، والتي يمكن تلخيصها في ثلاث نقاط :

١ - سيلا: أي السلوك الخلقى .. لا تسرق .. لا تقتل ..

لا تكذب .. الخ ..

٢ - سمادهي: يجب أن تتعلم التأمل والتركيز .

٣ - براجنا : أى الحكمة .. يجب أن يدرك المرء أن كل شيء وهم .. حلم ..

من الصعب فهم هذه الفلسفة .. ومن المستحيل تطبيقها ..

لكن البوذية انتشرت في آسيا إلى حد كبير .. ومنها نشأ فرعان أساسيان هما :

١ - الهينايانا (الناقلة الصغيرة) وهى منتشرة فى سيلان وبورما وسيام ولاوس وكمبوديا ، ويرتدى رهبانها الثياب الصفراء ويحلقون رءوسهم تمامًا .

٢ - الماهايانا (الناقلة الكبيرة) وقد سبق لنا الحديث عنها .

ويرى البوذيون أن العمل (كارما) يؤدي لنتائج بعضها ضار ، لهذا يحاولون الوصول لحالة الانطفاء الدائم التى تلغى نتائج الـ (كارما) وذلك عن طريق التأمل المستمر . ويسمون حالة الانطفاء الدائم باسم (نرفانا) .

وهى اللحظة التى تتلاشى فيها علاقة المرء بما حوله ، ويكتمل استغناؤه عن الحياة المادية .

وجاءت الـ (نافاراي) لتلغى أكثر هذه المعتقدات .. وكما قلنا سابقاً تعتمد فلسفة الـ (نافاراي) على تفادى الأذى والتسامح إلى أقصى حد ممكن ، لكن إذا زاد الأذى عن حده كان الرد .. الرد القاسى المرير الذى يدمر الخطر تمامًا ..

ويرتدى الـ (نافاراي) ثياباً زرقاء ويعقصون شعورهم خلف ظهورهم ويعلقون قرطاً فى آذانهم .. كما أنهم لا يرفضون منتحات الألبان على عكس البوذيين المخلصين ..

إن سيطرة الروح على الجسد هى جوهر فلسفة الـ (نافاراي) ..

وهم يؤمنون أن البوذيين نصابون .. فى حين يؤمن البوذيون أن الـ (نافاراي) أوغاد .. ويؤكدون أن كتاب الـ (شوكارا) مسروق منهم لأنهم هم الأصل فى كل هذا الهراء ..

وأخيراً .. لا يعرف بوجود الـ (نافاراي) سوى عدد محدود جداً من أهل (التبت) لأنهم متحفظون .. وأسرارهم لا تخرج للعالم الخارجى أبداً ..

لهذا - أرجوكم - ليبقى هذا الكلام سرّاً خاصاً فيما بيننا ..!

★ ★ ★

وفى النهاية علمت ما كان من موضوع (جينغ - تشا) الوافد الجديد على القرية ، وعلمت أن سرّ إطلاعى على كل هذا هو معرفة ما يمكن أن أسهم به فى العثور عليه .. فأنا أتكلم العربية وأنا ابن القرية وأعرف ما ينبغى عمله لإيجاد (نافاراي) ضائع ..!



أدركت دون جهد أن (هن - تشو - كان) يخشى (جينغ - تشا) كالموت ذاته ، وأدركت كذلك أن كارثة دانية قد لاحت في أفق حياتي ..

سألته وأنا لا أتوقع إجابة :

- « وأين أخفيت الكتاب ؟ » .

لا إجابة بالفعل .. هو يثق بي لكن ليس إلى هذا الحد .. فليكن ..

وبعد أن غادرني الفتى عائداً إلى عمله ، وذعت أمتي وركبت سيارتي متجهاً إلى المركز .. كان الغروب يزحف على القرية حين قابلت المأمور ، الذي تربطني به علاقة حميمة بعد قصة النداهة إياها ..

فما إن رآني حتى احتقن وجهه وتطاير اللعاب من فيه وشرع يصرخ في جنون كأنه يموت :

- « أخيراً !! هيه أيها العجوز !! .. تذكرت أصدقائك !! هاه !! » .

ظللت واقفاً في هلع منتظراً حتى تنتهي (عاصفة) مرحة وترحيبه .. وأنا أتساءل في سري : لماذا يصرخ هذا الرجل !! ..

وما إن هدأ حتى جلس منهكاً يلهث وطلب لي شايًا .. ثم سألتني عن الريح الطيبة التي ألفت بي ها هنا .. فقلت وأنا أتأوله لغافة تبغ :

- « أبحث - لأسباب يطول شرحها - عن غريب ظهر في القرية أمس .. » .

هرش رأسه في حيرة .. ثم غمغم :

- « مطلب غريب لكن يسهل التحقق منه .. يكفي

إرسال الخفراء في جولة سريعة .. ولكن لمة ؟ » .

- « سيطول شرح أسبابي كما قلت .. ولا تنس أنك

مدين لي بخدمة .. » .

- « هذا مطلب عادل ... » .

وهكذا ...

حين عدت لداري كنت واثقاً أن غريباً لم يزر القرية

أمس .. أو - بمعنى أدق - لم يره أحد بعد ..

هذا يعني أن (هن - تشو - كان) واهم أو كاذب .. أو أن

(جينغ - تشا) أجاد الاختفاء في هذا البلد ، فحتى عمال

الترحيلة كانوا معروفين لدى مقاولي الأنفاق ومن العسير

أن يندس أحدهم بين صفوف هؤلاء العمال ..

والسؤال هنا هو ..

هل هو يبحث عن الكاهن الأخير أم هو يعرف مكانه

وينتظر ؟

عنفذ - لو صخ كل هذا السخف يكون (هن - تشو -

كان) في مأزق حقيقي ، والموت يترصده في كل لحظة ..

ولكن .. ما شأني أنا بمشاحنات كهنة (النافاراي) من  
أجل كتاب عمره عشرة قرون ؟ .. إنني - والحق يقال -  
إنسان غريب .. غريب .

\*\*\*

إلا أن تلك الليلة كانت أسود ليالي حياتي ..  
طيلة الوقت يدور شريط المحادثة في ذهني ، وأسمع  
أصواتًا وأرى وجوها .. وثمة شعور عارم بضرورة أن  
أقحم نفسي في هذه القصة ..

وحين صاح الديك - أخيرًا - كنت قد أزمعت أمرا ..  
إلا أنني حين جلست لألتهم الفطور الذي أعدته لي أمي  
فوجدت بالفتى أتيا لزيارتي ، وكانت نظرة أمي إليه غنية  
عن كل كلام .. ألن يتركنا هذا المعنوه وشأننا ؟!

أزحت طبق البيض المقلى تجاهه .. وقلت باسمًا :

« هيا يا (هن - تشو - كان) .. بسم الله ! » .

إلا أنه لم يبد استجابة .. كان واضحا أنه قضى ليلة أسود  
من قلب الكافر ، أعصابه منهارة تمامًا .. والإرهاق على  
كل تجاعيد وجهه التي تضاعفت خلال ساعات .. فقط دمدم  
بعصبية :

« (جينغ - تشا) ! » .

« لم أجده ... » .

« هو .. هنا .. » .

التهمت لقمة كبيرة ولعقت شفتي التي لوثها صفار  
البيض .. وقلت :

« أعرف .. لكنهم لم يجدوه .. » ..

« عض شفته السفلى في حنق :

« هذا .... خطر .. » .

أنهيت طعامي .. ثم بدأت أطرح عليه الفكرة التي ولدت  
عندي بعد الليلة الفظيعة التي مرت بي ..  
لماذا لا يهرب ؟ ..

إن القاهرة كبيرة - حتى في ذلك الزمن - ويستطيع فيل  
كامل أن يذوب فيها فلا يجده أحد ، إذن لماذا لا ينزح  
للقاهرة ؟

ولماذا لا يعيش عندي في شفتي حتى يقضى الله أمرا  
كان مفعولا ؟

ولماذا لا يحاول العودة للثب ؟ .. أنا لا أعرف إذا  
ما كانت هناك سفارة للثب في مصر ولا أعرف كيفية  
استخراج تأشيرة للذهاب إلى هناك .. لكني - على الأقل -  
أستطيع شحنه إلى (نيبال) أو (الهند) أو (الصين) حيث  
يكون على مسافة (فرقة كعب) من وطنه ! ..

هو لن يكلفني شيئا - خاصة وهو لا يأكل اللحوم -  
وسيسلمني إلى حد بعيد في وحدتي ، وسيطرد الأشباح من  
غرفة نومي ، ولربما نجحت في إقناعه بتنظيف المنزل  
والطهي مقابل إقامته ! ..



واستغرق الأمر وقتًا لا بأس به لإقناعه .. فقد كان ضائعًا تمامًا ولا يدري ما هو الصواب .. لكنه في النهاية وافق ..

ثم إنني ذهبت إلى (السقا) فأخبرته بما التويه .. طبعا قلت له إن حالة الفتى تهمنى طبيا وسأقوم بعرضها على زملائي في كلية الطب ، وأفهمت (سعدية) أن الفتى ليس شيطانا بل هو مصاب بمرض من نوع نادر يجعله يتصرف بأساليب عجيبة ..

في نفس الوقت تسلل الفتى إلى المخزن فحفر الأرض واستعاد كتابه الثمين ثم أعاد ردم الحفرة ، وخرج إلينا ليودع - بفتور واضح - الأسرة التي استضافته في هذا الزمن ..

لم يكن الفراق مؤثرا لأن (سعدية) لم تعد تميل إليه بل هي تخشاه كثيرا في الواقع ..

ولهذا - وحين ركب الفتى السيارة جوارى - بدا لي أن صفحة القرية قد أغلقت نهائيا في كتاب حياته ..

كان متوترا راجبا في الفرار ..

وقد أنساه التوتر أن يندهش ..

فقد كانت هذه هي أول سيارة يركبها في حياته !..

وطيلة الطريق المرهق إلى القاهرة لم ينبس ببنت شفة ، حتى أدركت أنني قارفت خطأ جسيما بقبولي اصطحاب هذا الصنم إلى دارى .. ولو كنت بالذكاء الكافي لاقتنيت قطا أو كلبا ..

لكننا لا نملك أن نختار أخطاءنا !

\*\*\*

على أن حياتي لم تكن مملة إلى هذا الحد مع (هن - تشو - كان) ففي الساعة الواحدة من صباح ذلك اليوم صحوت من النوم على صوت جلبة آتية من غرفة المكتب في شقتي .. وكنت أعلم أن الفتى يغفو هناك على حشية فرشتها له على الأرض ، لأنه لم يعتد نوم الأسرة .. وكانت هذه هي ليلته الأولى في دارى .. لهذا أضأت الأنوار وهرعت إلى هناك .. فوجدته واقفا على الأريكة متخذا وضعا متحفظا للقتال وهو يحرك ذراعيه حركات سريعة عصبية لا داعي لها أبدا ..

يا لك من معتوه !..!

- « هل جننت أخيرا ؟! » .

كذا صرخت فيه بعصبية والنعاس لم يبرح جفنى بعد ..

- « تدريب :: أنا .. قتال ! » .

- « وهل التدريب لا يحلو لك إلا فجرا ؟! » .

لوح بذراعه في الهواء .. وهتف :

- (نافاراي) .. ليل ..! .. » .

بدأت أفهم .. فهؤلاء القوم مصممون على مخالفة  
الطبيعة البشرية في كل شيء ، وهم لا يجدون وقتاً أفضل  
للتدريب سوى حين ينام خلق الله من معدومي اللياقة  
البدنية مثلي ..

ولكن .. من يشرح هذا للجيران ؟ ..

وهكذا اتخذت الإجراء الوحيد الممكن .. أحضرت له  
قميصاً وبنظلاً من ثيابي وجعلته يرتديهما .. وكان القياس  
واحداً تقريباً ، ثم أننى جررته من يده وأغلقت باب الشقة  
صاعداً إلى سطح البناية ..

كان السطح خالياً سوى من بقايا قرميد مهشمة ..  
وبعض أكوام الرمل ، وكان كل هذا يتلألأ في ضوء القمر  
الفضي البارد .. ولما لم يكن هناك من يرانا سوى خالقنا ؛  
جلست على قالبين من القرميد وأشعلت سيجارة ، ثم  
لوححت بذراعي في الهواء طالباً منه أن يستمر ..

- « هيا .. أرني كيف تتدرب .. » .

بدا عليه الرضا لشعوره بالهواء الطلق .. وبدأ يتنفس  
بعمق .. ثم أنه انتزع القميص ليقف عاري الجذع كاشفاً  
عن أجمل - وإن لم يكن أضخم - تكوين عضلي رأيت في  
حياتي .. كل عضلاته مرسومة محددة كأنما في أطلس  
تصريح ملون ... وعلى ظهره رأيت وشماً لتنين مجنح ..



فوجدته واقفاً على الأريكة متخذاً وضعاً متحفظاً للقتال وهو يحرك

ذراعيه حركات سريعة عصبية لا داعي لها أبداً ..



ثم كان يدور فتلتصق قساماته وعضلاته في الضوء  
الفضي الخافت، ولم يكن يشعر بوجودي .. بل - أراهمكم -  
لم يكن يشعر بوجوده هو نفسه ..  
عندئذ .. وعندئذ فقط .. أدركت أن هذا الفتى صادق في  
كل حرف قاله لي .. لقد كان إنسانا مختلفا تماما عن  
الآخرين ..  
لقد كان زهرة زرقاء ..

\*\*\*

في الصباح الباكر أزمعت أن أريه القاهرة ..  
مدينتي الجميلة العجوز المنهكة تتمطى تحت شمس  
الصباح في كسل ... ومعه نخترق الدروب ..  
كان مندهشنا من كل شيء .. سألت عن كل مكان .. ويثير  
فضوله كل ما يراه ..  
على أن اهتمامه الخاص كان منصبا على الحافلات ..  
فهو لم يرها من قبل .. وبالطبع لم يرها في حالة التكدمس  
الجسدي المريع المميز لحافلاتنا ، ولقد بدا لي من الطريف  
أن أدعوه إلى ركوب إحداها ..  
وشرعت - من طرف خفي - أرمق ذهوله ومحاولته  
ألا يصطدم بتلك أو يدوس قدم ذلك ، لقد كان هذا تحديا  
رهيبا حتى للكاهن (نافاراي) مدرب على التفادي ..

وبين دخان التبغ لمحته بأنتى بحركات تمهيدية بطيئة ..  
ثم بدأ يتحرك .. يثب .. يتراجع .. بهجم .. بضرب خصوصا  
وهمين ويتفادي ضرباتهم .. يتقلب على الأرض ..  
وسقطت لفاقة التبغ من أنامله دون أن أشعر ..  
إن هذا الذي أراه ليس حقيقيا .. لا يمكن أن يكون هناك  
توازن عضلي بهذه الدقة والرشاقة .. لا يمكن أن يكون هذا  
الجسد من لحم ودم ..

\*\*\*

عندما تغرب الشمس وتلطخ سماؤها ثوب المساء  
الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر الـ (نافاراي) .

\*\*\*

كان الكاهن الأخير يطير في الهواء .. يسقط على  
ذراعيه .. يتقلب .. يرفع وجهه نحو قرص القمر ..  
لم يعد هناك وكذا أنا .. لقد ذاب تماما .. تلاشى في ذلك  
السر الذي يحكم قوانين الكون ودوران الذرات وهجرات  
الطيور ..  
امتزج بالنجوم والليل والقمر حتى غدا جزءا منها ..  
كنت أرمق في انبهار (السيلويت) الأنيق المميز له  
يتحرك أمام قرص البدر المكتمل ، فأدركت أن هذا المشهد  
هو الوحيد الجدير بأن يوضع أمام هذه الخلفية الكونية  
الخالدة ..

ولم يثر منظره أية ريبة لأنه بدا للقوم مجرد سائح  
آسيوي آخر .. إلا أن حادثًا صغيرًا كاد يكشف أمرنا ..  
إذ فجأة سمعنا صرخة امرأة، وسمعنا صراخ الناس  
يدعو السائق أن يتجه لمخفر الشرطة فعلمت أنها القصة  
المعتادة: هذه المرأة لم تجد حافظة نقودها .. وهنا وجدت  
شخصًا - بادي الشراسمة - يثب من نافذة الحافلة .. مذ  
أحدهم يده ليمنعه لكن اللص أخرج مديّة بشعة المنظر لَوَّح  
بها في وجهه مهنذًا .. ثم واصل هربه من التافذة .. وقافزًا  
إلى الشارع بين صفوف السيارات .. نظرت بطرف عيني  
إلى (هن - تشو - كان) لأرى رد فعله .. فوجدت علامات  
اللامبالاة كاملة على وجهه فأدركت أنه لا يريد لفت الأنظار  
أو التدخل ..

وفي الشارع تصدى أحد الشباب المتحمسين للص ..  
إلا أن هذا بادره بضربة خفيفة من المديّة جرحت وجهه،  
ثم أطلق ساقبيه للريح تاركًا الشاب ممسك وجهه وقد انتشى  
على نفسه ..

كانت هذه هي الغلطة التي ارتكبها اللص وما كان ينبغي  
أن يفعل ..!

إذ في ثوان تبديلت ملامح (هن - تشو - كان) .. ورأيت  
يثب كالنمر من نافذة الحافلة بين أجساد الناس المحتشقين  
الذين يرقبون ما يحدث ..

ورأيت يركض كالفهد بخطوات لا تصدق خلف اللص ..

شعر اللص أن هناك من يقتفى أثره فزاد سرعة جريه ..  
لكن (هن - تشو - كان) كان يقطع في كل وثبة أربعة أمتار  
كاملة، وأخذت المسافة بينه وبين اللص تضيق ..  
وتضيق ..

وهنا أدرك هذا الأخير أن الصواب في التوقف  
والاشتباك .. ومكثرًا عن أسنانه كالذئب وقف في وجه  
(هن - تشو - كان) ملوحًا بمديته بما معناه: الويل لك إن  
تمايت ..!

كنا بعيدين عن المشهد .. لكننا جميعًا سمعنا (هن -  
تشو - كان) يصرخ بصوت مرعب:  
- « تشا ساراينا ! »

قالها وهو يباعد ساقيه .. وبالطبع ذهل اللص من هذا  
لكنه واصل التلويح بسلاحه هناك حيث وقف على  
الرصيف بمنصف الشارع ..  
- « جوانغ ساراينا ! »

ومذ ذراعيه إلى أقصى امتداد لهما مباعذا ما بين  
أصابعه ..  
ثم ....

- « كيو ساراينا ! »

وهو يرجع رأسه للوراء .... ثم ....



« كالنمر الذى يفضل النوم فى الشمس ، فلا يخرج  
مخالبه إلا لحظة الخطر الحقيقى .. » .

★ ★ ★

هادنة مضت الأيام ، ولكنها لم تكن مملة قط ..  
تعلمت منه الكثير عن فلسفة الـ (نافاراي) و (التبت)  
والبوذية ، وتعلم منى الكثير عن العرب والفراغة وأكل  
الفول المدمس ..!

الحق أقول لكم إنه كان ظريفاً لطيف المعشر ... وكان  
يتعامل مع الحياة ببراعة وانبهار يلذان للنفس ، بالإضافة  
إلى أن روحه كانت أطهر من قطرات المطر .. وأنقى من  
الثلج الأبيض ..

أما عن إقامته فى دارى ، فلم تكن ثمة مشكلة لأن  
الجيران اعتادوا كثرة أسفارى وخرابة أطوارى .. ولم  
يجدوا غرابة فى أن أستضيف صديقاً آسيوياً فى دارى ..  
كان الفتى قد ارتدى بذلات عصرية أنيقة ابتعتها له ،  
وشذب خصلات شعره ، واعتاد وضع منظار أسود فاخر ..  
فبدا كأنه رجل أعمال ناجح قادم من (هونج كونج) ..  
صحيح أن هناك خطراً لا بأس به فى أن يستوقفه أحدهم  
سائلاً إياه عن جواز سفره .. وعندئذ سيعتبر متسللاً للبلاد ؛  
لكن هذا لم يحدث حتى الآن لحسن الحظ ..

★ ★ ★

بعد ثمانية تعالت أصوات ركاب الحافلة يطلبون الرحمة  
للصن الذى تحول إلى خرقة صالحة لتلميع الأحذية ..  
وبالطبع لم تعد فى فمه سنٌ واحدة سليمة ..

يا لك من مجنون يا (هن - تشو - كان) !.. ستجلب  
علينا القاهرة كلها وكل رجال الشرطة .. وعندئذ ستبدو  
قصتى عن الـ (نافاراي) عجيبة بعض الشيء .. فضلاً عن  
احتمال لا بأس به أن يعرف عدوك بهذه القصة ..  
- سوان هاتشاه ساراين !! « .

كذا هتف وهو يرمق بقايا ضحيته المكتمسة على  
الرصيف ..

إلا أنني كنت قد لحقت به وجذبتة من ذراعه لأبعده عن  
الزحام الذى بدأ يتبلور حولنا .. ومضينا نمشي حديثاً بين  
الفضوليين الذين لم يجرؤ أحدهم على إيقافنا لأن الذهول  
كان يعم الجميع ..

- « أهتلك على الدعاية التى صنعتها لنفسك !.. سنراك  
فى التليفزيون قريباً تدرس الدفاع عن النفس .. » .  
- « أنا .. أضرب .. سيني !.. » .

- « نعم .. نعم .. ولكن سنواصل هذه المناقشة الفكرية  
فيما بعد .. » .

★ ★ ★

في ذلك اليوم الكنيب حدث ما أخشاه ..

كان (هن - تشو - كان) قد نزل يتجول بالجوار كعادته في الأيام الأخيرة ، في حين كنت منهما في تقشير البصل في المطبخ والمخاط يسيل من أنفي مخلوطاً بالدمع .. حين رن جرس الهاتف ..

خرجت للصالاة لأجيبه وأنا أمسح أنفي في كتف البيجامة ومنظاري مكسوة بالدموع ..

ومن الهاتف دوى صوت (طلعت) زوج أختي صارخاً :  
- « كيف حالك يا نكتور ؟ » .

أدركت أنه يتحدث من الهاتف الوحيد بقرية (كفر بدر) الموجود عند العمدة .. وهو من نوع الهواتف التي تعمل بالـ (مانفلا)، وترغمك على الصراخ حتى ليسمعك الطرف الآخر دون هاتف ..!!

أخذ يسألني عن كل من بطرفنا .. وأنا أرد في اقتضاب أن أحدا لم يمت بعد للأسف ... وهنا صاح في مرح :

- « هل ما زال (الأخرس) عندك ؟ .. لقد سأل عنه أخوه أمس ! » .

- « أخذ .. أخوه !؟ » .

ضحك - من قلبه - وبدأ يفسر لي (ضربة المعلم) التي حققها :

- « أمس كنت مع الحاج (محمد السقا) حين مر علينا سائق لورى صديق من القرية المجاورة وسأل عن شاب غريب الملامح وقد على قريتنا من شهر أو أكثر .. قال لنا إنه يبحث عنه لأنه شقيق (التباج) الذي يعمل معه ، وهو فتى يشبه صاحبنا تماماً في ملامحه .. وإن كان يتكلم قليلاً .. وقد قال إنه يبحث عن أخيه في (كفر بدر) لأنه ضاع منه منذ شهر .. » .

كان مخى يغلى بالحصى بينما (طلعت) يواصل حكايته :

- « الغريب أن هذا (التباج) هو نفسه غريب الملامح غريب الأطوار ظهر فجأة في تلك القرية ، وأراد سائق اللورى أن يكسب فيه ثواباً فأخذه ليعمل معه .. وتطوع ليساعده في البحث عن أخيه !.. » .

فتحت فمى لأسأل السؤال الذي سأجن لو لم أسأله :

- « وهل .. هل أخبرتماه عن (الأخرس) !؟ » .

- « بالطبع .. وماذا تظن ؟ .. إن الإنسان قلما يجد

فرصة ملائمة لعمل الخير كهذه الفرصة ! » .

- و ... و ... أخبرتماه بعنواني في القاهرة ؟ » .





كان جر .. تباب قد أغلق دائرة كهربية تتصل بجهازى العصبى ، فأجفلت ووثبت لأعلى متزا .. ثم إننى استجمعت شجاعتى وانتظام ضربات قلبى .. ففعلت أول ما ينبغى عمله .. نسست قرصاً من الـ (نيتروجلوسرين) تحت لسائى كى لا تخذلنى شرايبنى التاجية .. واتجهت للباب عالماً أن القادم ليس سوى (هن - تشو - كان) الذى لم أعطه نسخة من مفتاح الشقة .. سأحكى له كل شيء فوزاً ..

ولم يكن القادم هو (هن - تشو - كان) .. كان فلاحاً مشعث الشعر تحت طاقة صوفية قذرة ، وكانت لحيته نامية وعلى جسده جلباب بال .. وقبل أن أسأله عن مرامه أدركت دون جهد أنه هو ..! (جينغ - تشا) ..! أعرف هاتين العينين الضيقتين والبشرة الصفراء والوجنتين البارزتين .. إن من يحمل هذه السمات لا يمكن إلا أن يكون آسيوياً .. وبالتحديد من منطقة التبت .. وللدقة لا بد أن يكون هو (جينغ - تشا) ..! من غيره ؟! ..

قبل أن أقرر ما أفعل ، لمحت عينيه البارذتين القاسيتين تنظران لوجهى فى ثبات .. وفى صوت غليظ تساءل :  
- « داکتر ریفات ؟! » .

- « نعم .. نعم .. دكتور (رفعت) .. هذا أنا .. »  
ومددت يدى لأغلق الباب فى وجهه ..  
وهنا لا أنكر ما حدث ..

لقد كانت انعكاسات هذا الفتى تفوق القدرة التحليلية لخلایا شبكىتى .. ولا يمكن فهم ما حدث إلا بتصوير المشهد بكاميرا سينمائية تدور بسرعة ألف كادر فى الثانية ، يتم بعدها عرض الفيلم بسرعة أربعة وعشرين كادرًا ..

فجأة وجدت نفسى ملقى فى ركن الصالة .. وكان هو قد دخل الشقة وأغلق الباب خلفه .. بل حطم منظارى ..! لم أستشعر ألمًا لأن الذهول أضاع كل ألم .. ومضيت أراقبه فى توجس وهو يدور فى أركان الشقة باحثًا فى كل غرفها عن شيء ما .. ثم رأيته يعود لى ويقف أمامى .. ويصرخ بصوته الغليظ :

- « (هن - تشو - كان) ؟! » .  
لم أر فائدة من التظاهر بالجهل .. فقلت ململماً أشلاء كبريائى المبعثرة :

- « خرج .. » .  
نظر لى فى ريبة يضع ثوان .. ثم قرر - كما يبدو - أن يعقد لى امحتانًا سريعًا ..





إلا أنه انحنى إلى جوارى .. والتقط بين إبهامه والسبابة بعض  
الشعيرات من سالفى ..

وقال بتؤدة :

- « (شوكارا) .. أين ؟ » ..

أدركت أنه شبه متأكد من أنني أجهل الموضوع ، فهو يتوقع - وهذا حق - أن الكاهن الأخير لم يصارحنى بمكان الكتاب إن كان صارحنى بوجوده أصلاً .. وصممت أن أبدو بريئاً وغيبياً إلى أقصى حد ..

إلا أنه انحنى إلى جوارى .. والتقط بين إبهامه والسبابة بعض الشعيرات من سالفى .. وشذها .. آآآه! ..  
يا للآلم !.. كأنه ينتزع جزءاً من مخى .. كُف عن هذا !..  
كُف ..

- اسمعنى يا أسد .. آه ..! .. أستاذ .. أنت رجل متحد ..  
متحضر وابن ناس ويمكننا أن نتفقا آآآآآهم !.. آى ! «  
- « (شوكارا) أين ؟ » ..

غريب هذا !.. هو واثق من أنني أجهل مكان الكتاب ..  
لكنه مصمم على تعذيبى إلى آخر درجة يكون بعدها واثقاً  
تماماً ..

- « (شوكارا) .. أين ؟ » ..

آى !.. كيف أخبر هذا المعتوه أن تعذيبه وصل للذروة  
وأن ما يتحملة الـ (نافاراي) ليس هو ما يتحملة شيخ فان  
مثلى ؟

- « (شوكارا) .. أين ؟ » .

ترررررن ! » .

جرس الباب !.. جاء في وقته لأنه أجهل وأطلق سراحى  
- الفتى وليس الجرس - وتفكر في الموقف هنيهة ..  
ثم إنه نهض واتجه للباب ووقف خلفه .. ثم مَدَّ يده  
ليفتحه مبتعدًا عن مجال بصر من يدق الجرس ..  
انفتح الباب ودلف منه الوجه المألوف الجديد لـ (هن -  
تشو - كان) .. في يده كيس مليء بالبيض ابتاعه من  
السوق وعلى ثغره ابتساماة الظفر كطفل بعثته أمه للسوق  
أول مرّة وعاد موفّقًا ..  
وفي مرج التفت ليحدث من حسبه أنا .. ذلك الذى فُتح  
له الباب ..

وهنا التفت العينان .. وفهم كل شيء ..

وانغلق الباب محدثًا جلبة ..

\*\*\*

ساد الصمت المكان فلا شيء سوى صوت أنفاسنا ..  
ثم أن (جينغ - تشا) اقترب في تؤدة من (هن - تشو - كان)  
وهو يبتسم في لزوجيّة .. وللمرة الأولى أرى الرعب في  
عيني الكاهن الأخير .. نظرة فأر وقع في المصيدة .. أو قط  
ترتفع حوله مياه الفيضان .. أو كلب تحيط به الأفاعى ..  
أو أفعى في جحر الماتجوست .. أو أى رعب تتخيله ..

بدأ (جينغ - تشا) يتكلم بلغة لا أعرفها ..

كان صوته غليظًا بطيئًا مليئًا بالسخرية والغرور

والتوعد ..

أما (هن - تشو - كان) فكان يردّ بعصبية وتوتر بينما

المقت يلتمع في عينيه .. كانا يتبادلان الاتهامات والسباب

طبعًا ..

وهنا بدأت أستعيد صفاء ذهنى ..

حتمًا سيحدث صراع دموى ... وليس لى أن أخشى شيئًا

على (هن - تشو - كان) لأنه الأفضل تدريبيًا .. لكن له

نقطة ضعف واحدة .. هى أنا !..

نعم .. بالتأكيد سيحاول (جينغ - تشا) تهديد حياتى

للضغط على خصمه ، وبالتالي لن يكون جيبًا منى أن أحاول

الانسحاب فى صمت لأن وجودى سيزيد من متاعب الكاهن

الأخير فقط ..

ويبطء .. يبطء ببطء بدأت أزحف نحو باب الشقة ..

كانت محادثتهما مستمرة لهذا نسيت وجودى تمامًا ..

وفجأة بدأ الاشتباك ...

كنت عند منتصف الطريق إلى باب الشقة حين سمعت

صوت سوط يشق الهواء فأدّرت رأسى لأرى ..



- « كيو ساراياتانا ! » .

واندفع كالمسهم الذي تحرر من قوسه نحو خصمه  
الأزلى ..

ما أروعه من مشهد !.. للمرة الأولى أرى قتال  
الـ (نافاراي) يدور بين خصمين متكافئين .. لم يكن (جينغ  
- تشا) بالخصم السهل ، وبدا لي أنه يعرف مكان واتجاه  
كل ضربة ويعرف كيف يتفادها قبل أن تلمسه .. مزهية  
ثمينة تتهشم .. ثم أخرى !..

صحت في هلع وأنا أقف فيما بينهما :

- « أتوسل لكما .. اصعدا إلى سطح البناية فهناك  
متسع للجميع .. » .

وهنا وجدت نفسي وقد طرت لأسقط على الأرض في  
ركن الصالة وكل عظامي تتن .. من ضربتي؟ ومتى؟  
وكيف؟.. لا أدري .. المهم أن الشخص العادي مثلي هو  
ذباية إذا ما اشتبك مع هذه الوحوش ، ولربما كان الأوفى  
لي أن أبادر بالفرار من هذا السيرك ..  
تررررن !..

جريت مترنخا لأفتح باب الشقة .. فوجدت جاري  
الأستاذ (زكريا) مدرس الجغرافيا الذي يقطن بالطابق  
الأسفل .. وكان يرتدي البيجامة وطاقيّة صوفية ووجهه  
محتقن كالمطاطم .. ويصرخ :

لم يكن سوّطاً بل هي ذراع (جينغ - تشا) التي امتدت  
تمزق الهواء تجاه بطن الكاهن الأخير ، وكانت أصابعه  
متخذة وضعا غريباً كالعنكبوت مما جعلني أرجح أنها إحدى  
قبضاتهم السرية ..

وهنا أثار ذهولي ما حدث ..

لقد تقوس (هن - تشو - كان) للأمام قدر استطاعته  
مبعذا تجويف بطنه عن القبضة ، ثم استعاد توازنه ..  
وتفادى ركلة شنيعة كادت تتسف رأسه ..  
كان يتفادى .. يتفادى كأفضل ما يكون ..

\*\*\*

« لو أن لصاً هاجم دارك فلن يمنعه (التفادى) من  
سرقتك .. لن يمنعه من إيذاء أمك العجوز .. لن يمنعه من  
تمزيق كتب صلواتك وسكب زيت الموقد .. » .

\*\*\*

- « تشا ساراياتانا ! » .

صرخ (هن - تشو - كان) وهو يباعد ما بين ساقيه ..  
وهنا لمحت لمحة من الذعر ترسم على وجه (جينغ -  
تشا) ..

- « جوانغ ساراياتانا ! » .

صرخ الكاهن الأخير وهو يباعد ذراعيه عن جسده ..  
ثم أرنف بالصيحة الأخيرة وهو يعيد رأسه للخلف (لقد  
صار هذا المشهد مملاً) :

- « ماذا دهاك أيها المنحل ؟.. هل جننت !؟ » .  
أدركت أن الجلبة التي أحدثها الصراع كادت تسقط  
السقف فوقه ..

قلت له في رقة مفسراً :

- « معذرة .. ولكن عندي كاهنين من الـ (نافاراي) من  
القرن السادس عشر ، وهما يتصارعان الآن .. أنت تفهم  
هذه الأمور ! » .

فتح فاه في ذهول ليقول شيئاً .. وهنا فوجئ بـ (جينغ -  
تشا) يبرز من داخل الصالة حاملاً كرسيًا خشبيًا ثقيلًا وهو  
يعوى كالذئب ويهوى به على رأس (هن - تشو - كان)  
الذي تلقى الكرسي على ساعديه .. فتهشم الخشب متناثرًا  
في كل مكان ..

- « مجنون !.. كلكم مجانين ! » .

صاح في ذهول وهلع وهو يولى الأدبار قائلًا كلامًا  
كثيرًا عن حياة العزّاب .. وعن توقعه أن القيامة ستقوم في  
موعد أقصاه هذا الشهر .. وعن الحكومة التي تترك أمثال  
هؤلاء ينعمون بالحرية ..

ولحقت أنا به وقد أدركت أن الوقت قد حان لذلك ..  
هبطت خلفه درجات السلم ومعه دخلت من باب شقته ،  
فما إن أدرك أنني وراءه حتى صرخ في عصبية :

- « ماذا تبغى أيها الأحمق ؟ » .  
ثم صرخ في ابنته الشابة التي هرعت بقميص النوم  
لترى ما هنالك :

- « وأنت !.. انخلي غرفتك فوراً ! » .

صحت في توتر محاولاً جعله يفهم الموقف :

- « أستاذ (زكريا) .. صدقتي .. ليس الوقت مناسبًا  
لأرانك الخاصة في .. إن هذين الشابين في شقتي سيقتل  
أحدهما الآخر .. يجب أن نطلب الشرطة فوراً .. » .

كان دوى المعركة فوق رؤوسنا مستمرًا حين نظر لي  
الرجل في حيرة .. ثم غمغم :

- « إذن هما ليسا من شلة السوء الخاصة بك ؟ » .

ارتفع الدم إلى رأسي :

- « أية شلة سوء !؟.. هل سبق أن عرفت لي

أصدقاء !؟.. وأي سوء يُرجى من كهل أصلع مصاب بالربو  
والذبحة الصدرية مثلي !؟.. هلم هات الهاتف قبل أن تغرق  
الدماء سلالم المبنى .. » .

بدا كأنه اقتنع .. فهرع يحضر لي التليفون وهو ينظر  
للسقف في حيرة متوقفاً أن ينهار بين لحظة وأخرى ..

أدركت الرقم الرهيب .. والمطمئن برغم ذلك - ٢٠٠٢ ..  
وانتظرت برهة دون جدوى .. لا حرارة على الإطلاق ..



إن المصائب لا تأتي فرادى ..  
سأحاول طلب الشرطة من شقة اللواء (محمد حليم)  
إذن ..

هرعت للباب على حين وقفت الفتيات الخمس - بنات  
الأستاذ (زكريا) - يرمقن المشهد في حيرة ، فصاح فيهن  
أن يدخلن حجراتهن كأنه بهش ذباباً ، وعند الباب توقفت  
وتراجعت خطوة للوراء ..  
لقد أدركت أننا في مأزق ..

مأزق حقيقي ..  
كان هناك شاب أسبوي الملامح ، يرتدى قميصاً وبنطلوناً  
مُتسخين ، يقف على باب الشقة حاملاً نصلاً كئيب الشكل ..  
وفي تودة أشار لي أن أنزم مكانى ولا أتحرك ..!  
- « ما هذا ؟ من هو ؟ .. »

تعالت الصيحات متسائلة .. أما أنا فأغلقت الباب وعدت  
إلى داخل الشقة وأشعلت سيجارة وأنا أجلس على الأريكة  
مُفكك الأوصال .. إذن لم يأت وحده !

- « د. (رفعت) .. من هذا الرجل ؟ ماذا يريد ؟ »  
رفعت رأسى ببطء شديد وكأننى كنت أحلم ..  
وفي غموض همست :  
- « لقد جاءوا خلفه ! »

\*\*\*

## ١٠ - الخاتمة ..

لقد جاءوا خلفه ..!

لم يكن (جينغ - تشا) هو الوحيد الذى اجتاز الزمان  
والمكان باحثاً عن الكاهن الأخير .. بل تبعه بعض رهبان  
الـ (ماهايانا) ليشدوا من أزره .. لا يحتاج المرء لكثير  
نكاه كي يدرك أننا محاصرون ..  
ربما البناية كلها محاصرة ..

وهذا يعنى أننا رهائن مُسخرة للضغط على (هن - تشو  
- كان) كي يسلم الكتاب الثمين لهم ، ولقد لعبوا لعبتهم  
بنكاه حق .. أدركوا أن الكاهن الأخير لن يهزم .. وإذا هُزم  
فلن يستسلم ولن يتكلم ..

ولم تكن هنالك سوى طريقة واحدة للضغط عليه ، تلك  
الطريقة التى فررت من شقتى كي لا أمنحها لـ (جينغ -  
تشا) .. استخدام الآخرين ..  
الهاتف ؟ .. هل نسيت أنه معطل ؟ .. وأنهم هم معطلوه  
دون أننى شك ...

لقد فهم هؤلاء الأوغاد مفردات عصرنا وأهمية الهاتف  
بسرعة .. أسرع مما ينبغي في الواقع ..

والآن .. أملنا الوحيد هو أن نغلق أبوابنا وأن نرجو  
التوفيق للكاهن الأخير في معركته المصيرية التي تدور  
فوق رؤوسنا .. ربما لو سلم لهم الكتاب تكون هناك  
فرصة ..

لكني أشك كثيرا في ميول هؤلاء السادة السلمية ..  
ولا أعتقد أنهم سيشكروني ويوجهون لنا عبارات الاعتذار  
وينصرفون ..

المصيبة الحقيقية هي أنني من جلب هذه المصيبة  
للبنائة .. والآن تواجه عشر أسر ورطة لا مفر منها  
فيما يبدو ..

★ ★ ★

والآن حان الوقت كي أتمنى لكم ليلة سعيدة وأترككم !..  
أرى بعضكم يشد كمي .. وأسمع بعضكم يتسائل : وماذا  
حدث بعدها ؟.. هل أنتم حقًا مهتمون بذلك ؟.. كنت أعتقد  
أنكم لن تجدوا ما يثير في حصار بعض البوذيين لسكان  
بنائة بينما يتصارع كاهنان في إحدى الشقق .. ليكن لكم  
ما تريدون ..

سأحكي ما حدث بالتفصيل ..

لكنها قصة طويلة ، وقد قاربت الليلة على الانتهاء ..  
إن النوم شيء حيوي للشيوخ مثلي ..  
ربما في الليلة القادمة .. أو ربما ليلة أخرى أستكمل  
القصة .. قصة العجلة الثمانية ومومياء (شيان - قه)  
الرائدة بين الثلوج ورقصة الموت .. و... و...  
لكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة ١٩٩٣



